الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الجزائر2
كلية اللغة العربية وآدابها واللغات الشرقية
قسم علوم اللسان

الحِجاج في شِعر حسَّان بنِ ثابِت

مذكرة لنيل شهادة الماجستير في إطار مدرسة الدكتوراه

تخصص: علوم اللسان وتحليل الخطاب

إعداد: حسين تعزونت

السنة الجامعية 2016/2015

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الجزائر2
كلية اللغة العربية وآدابها واللغات الشرقية
قسم علوم اللسان

الحِجاج في شِعر حسَّان بنِ ثابِت

مذكرة لنيل شهادة الماجستير في إطار مدرسة الدكتوراه

تخصص: علوم اللسان وتحليل الخطاب

إعداد:
حسين تعزونت

إشراف:
أ.د. مفتاح بن عروس

السنة الجامعية 2016/2015

يقول الله تعالى :

" يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (65) هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (66) "

[سورة آل عمران الآية : 65 ، 66]

الإهداء

إليكما إلى من أوصاني الله بالإحسان إليهما إلى من أمرني ربي أن أدعو بالرحمة لهما .

إلى من تعبا لراحتي و سعادتي ،إلى حبيبا قلبي إليكما والديّ الغاليين أهدي مذكرتي .

داعيا الله سبحانه و تعالى أن يجزيكما عني خير الجزاء و يختم لكما بحسن الختام .

إلى زوجتي الغالية إلى من شاركتني حياتي ، أسأله سبحانه أن يجعلها خير لباس لي و معينا في حياتي .

إلى أخي الحسن توأمي رفيق طفولتي و أعز إخوتي و إلى كل الأهل و الأحباب .

إليكم أهدي عملي

كلمة شكر

أول شكر هو شكري لربّي الذي سألته فأعطاني

أشكره على توفيقه وامتنانه ، فله الحمد أوله وآخره

وأشكر الأستاذ المشرف الدّكتور مفتاح بن عروس

الذي يُعدّ المرجع الأوّل لهذا البحث في التّوجيه

والنّصح والإرشاد.

المقدمة

مقدمة :

لقد تميزت البيئة العربية بشكل عام بنزاعات و اختلافات و خصومات و حروب ، و كان الشاعر هو لسان القبيلة يدافع عنها و يشيد بانتصاراتها و يرثي فرسانها و أبطالها و يُحْيي أيامها و أعيادها و يَهْجي أعداءها .

و قد كانت المدينة في الجاهلية ميدانا للنزاع بين الأوس و الخزرج ، و حسان بن ثابت شاعر الخزرج الذي كان لسان قومه في تلك الحروب التي نشبت بينهم و بين الأوس في الجاهلية .

و بعد ظهور الإسلام و دخول حسان فيه صار خادما للإسلام و مدافعا عن رسوله محمد صلى الله عليه و سلم .

و المتمعن في شعر حسان بن ثابت يرى أن الحِجاج يأتي في سياق الرّدّ على الكفار و المعادين للإسلام و للرسول صلى الله عليه و سلم و نصرة النبي صلى الله عليه و سلم.

و الحجاج له بعد تاريخي قديم تعود جذوره الأولى إلى الفيلسوف اليوناني أرسطو في كتابه الخطابة ، ثم تطورت هذه النظرية مع نُخبة من الباحثين المُحْدثين ، أزوالد ديكرو و زميله أنسكومبر، و شاييم بيرمان و أولبريخت تيتيكا ، و أوستين ، و جرايس حتى يبينوا القدرة التبليغية و التأثيرية الموجودة في اللغة التي تتفاوت من لغة إلى أخرى بحسب العوامل و التقنيـــــــــات الحِجاجية التي فيها .

و ينطلق هذا العمل في التساؤل عن الكيفية التي يتجلى بها البعد الحجاجي عند حسان بن ثابت ، و يترتب عن هذا التساؤل مجموعة من التساؤلات تتمثل في :

فيم تتمثل الأدوات الحجاجية التي وظفها حسان بن ثابت ؟ و ماهي مختلف الآليات البلاغية التي تناولها في شعره ؟ و كيف استطاع من خلالها الإنتصار و التغلب على الخصوم بالحجة والبرهان ؟ .

و الدافع الذي دعاني إلى اختيار هذا البحث عدة أمور :

1- معرفة الأساليب التبليغية للغة من خلال الحُجَج و البراهين في الإبانة و الإقناع والتأثيرو خاصة في الشعر .

2- كيفية تطبيق نظرية الحِجاج عمليًّا على النّصوص الشّعرية .

3- إثراء الثقافة المعرفية في ميدان تحليل الخطاب و خاصّة في نظرية الحِجاج .

و قد قسّمت هذا البحث على النّحو التّالي :

التمهيد :

تطرقت فيه إلى بدايات تاريخ الحِجاج منذ الحضارة اليونانية ثم الإسلامية و ظهور فرق أهل الكلام ، ثم ظهوره و بعثه بشكل جديد مع ثُلَّة من الباحثين المعاصرين أمثال : بيرلمان و تيتيكا وديكرو و طه عبد الرحمان و أبو بكر العزّاوي و غيرهم كثير .

مقدمة :

تعرضت فيها إلى سبب اختيار الموضوع ، و طرح الإشكالية و المنهج المتبع و الفصول التي تناولناها في هذا البحث .

الفصل الأول نظري و يتمثل في :الحِجاج في الفكر الغربي والعربي قديما و حديثا و يحتوي هو بدوره على ثلاثة مباحث :

المبحث الأول :الحِجاج في الفكر الغربي و العربي قديما ، أمــا **المبحث الثاني يتمثل في :** الحِجاج في الفكر الغربي و العربي حديثا، و ذلك عند مجموعة من اللسانيين مثل : بيرلمان وتولمين وديكرو و أنسكومبر و طه عبد الرحمان و محمد العمري و أبو بكر العزاوي .

و ذلك بالتطرق إلى المفهوم اللغوي و الاصطلاحي للحِجاج عبر مراحل تطوره إلى العصر الحديث .

أما المبحث الثالث فيتمثل في : أصناف الحِجاج و تقنياته ، **و من أصنافه** التي تناولناها :

الحِجاج التوجيهي و الحِجاج التقويمي و الحجاج التجريدي .

و من تقنياته : الأدوات اللغوية و الآليات البلاغية و السّلّم الحِجاجي .

الفصل الثاني : تطبيقي و تناولت فيه آليات الحِجاج البلاغية و أدواته اللغوية المتمثلة في الروابط و العوامل .

المبحث الأول : الأدوات اللغوية للحِجاج في شِعر حسّان بن ثابت .

المبحث الثاني : الآليات البلاغية للحِجاج في شِعر حسّان بن ثابت .

ثم خَلُصْت إلى خاتمة .

تطرقت فيها إلى ذكر الصّعوبات و المعيقات التي واجهتنا أثناء بحثنا .

ولقد اقتصرت في دراستي للحِجاج على الجانب التطبيقي على بعض النماذج في ديوان حسّان بن ثابت فلم أقتصِر على قصيدة واحدة نظرا لكثرة الأدوات اللغوية و الآليات البلاغية للحِجاج لذا كان لابدّ منَ النّظر في جميع الدّيوان حتّى أختار الأبيات الشعرية التي تفي بالغرض لهذا البحث .

و نظرا لطبيعة الموضوع الذي اخترناه تمّ تقسيمه إلى فصلين ، الأوّل نظري و الثّاني تطبيقي فاعتمدنا في ذلك على منهج وصفي تحليلي ، فالوصف اختصّ بالجانب النّظري الذي قدّمنا فيه جوانب نظرية ، أمّا المنهج التّحليلي فكان من نصيب الفصل التّطبيقي حيث قمنا باستخراج بعض النّماذج الحِجاجية المختلفة و تحليلها تحليلا حِجاجيا على قدر الاستطاعة والجهد و كان دليلنا لهذا كلّه مجموعة من الدّراسات التّطبيقية التي سبقت بحثنا .

كما قمنا بتذييل آخر هذه المُذكِّرة بقائمة المُصطلحات باللّغة العربية و بمقابلها الأجنبي حتـــــى يسهل على القارئ معرفتها ، تليها قائمة المصادر و المراجع و فهرس للموضوعات .

تمهيد :

لقد خلق الله الإنسان و فضله على كثير ممّن خلق تفضيلا ، و ميّزه عن الحيوان ، فجعل له عقلا وتكليفا ، و مكّنه من التّواصل مع بني جنسه ، ومِنْ أعظم هذا التّواصل أنْ جعلَ له لغة خاصّة به يُعبِّر بها عن حاجياته و متطلّباته ، و تحصل له بها غايته المنشودة ، وهدفه المطلوب ، ومِنْ مُميِّزات هذه اللّغة أنَّ لها طابعا حِجاجيا و إقناعيا أكثر ممّا هو تواصلي و تبليغي .

ولقد كثر الحديث اليوم عنِ الحِجاج و دوره النّاجع في مقاربة مختلف الخطابات العلمية والإنسانية و الثّقافية ، و أصبح الحِجاج موضوعا لافتا للانتباه بسبب حضوره الكلّي أو الجزئي أو الضّمني في مجموعة من الخطابات سواء كانت فلسفية ، أمْ أخلاقية ، أمْ قضائية ، أمْ أدبية أمْ سياسية ، أمْ سيميائية ، أمْ لسانية ، أمْ اجتماعية، أم فنِّية ... ، و يعني هذا أنَّ عصرنا هو عصر الحِجاج و الجِدال و الإقناع و التّأثير و الحِوار ، سيما مع تطوّر وسائل الإعلام ، و انتعاش الديمقراطية في مجموعة من الدّول العربية و الغربية .

و من هنا أصبح الحِجاج أداة لمناقشة الأفكار مهما كانت طبيعتها و مصداقيتها ، و للإشارة فليس الحِجاج ظاهرة فكرية حديثة، بل له امتدادات قديمة خاصّة عند علماء اليونان و الرّومان والمسلمين .

و يمكن القول بأنَّ الحِجاج موجود داخل الكلام ، فلا يمكن أنْ يكون كلام من دون حِجاج ولاحِجاج منْ دون كلام ، وقد حفلت الكتب السّماوية بالأخبار الدّينية .و قصص الأنبياء و الرّسل التّي تتضمّن الحِجاج ،و كان أغلب الرّسل و الأنبياء يجادلون قومهم كما أخبرنا القرآن بذلك .

هذا و قد عرف فلاسفة اليونان الأوائل الحِجاج و خاصّة الحِجاج الجدلي كما هو عند السوفسطائيين و سقراط و أفلاطون ، و غيرهم كثير ، فمنهم من اتّخذه كوسيلة للوصول إلى الحقيقة و منهم من استعمله للتّضليل و التّشكيك ،و استعمل كذلك للإقناع و التّأثير في الآخرين.

إلى جانب هذا قد عرفت الثقافة الإسلامية الحِجاج و الجدل ،و يتجلّى ذلك في القرآن الكريم بمعانيه المختلفة ، فقد جاء بلفظ حِجاج ،و جَدل ،و بُرهان، مِثْل

قوله تعالى : (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ) سورة البقرة الآية :258

وفي قوله تعالى : (وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ) سورة النساء الآية 107 .

كما أنّنا نجد كلمة بُرهان وَردَت ثماني مرّات في القرآن الكريم، و من ذلك قوله تعالى :

(تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) سورة البقرة الآية 111 . و غيرها من الآيات .

فهو الحُجّة الكبرى و المعجزة الخالدة ، فقد حفلت آياته بالحِجاج بكلّ أنواعه و خصائصه وأساليبه البلاغية و أدواته اللغوية ، فهو كلّه حِجاج و بُرهان ، فهو أبلغ و أفصح و أرقى كلام المُنزَّه عنْ كلِّ نقصٍ و عيبٍ فهو المُعجِز بألفاظه و معانيه و المعجز في نظمِه و سَبْكِه لأنّه كلام ربّ العالمين.

كما تجلّى كذلك في الحديث النّبوي الشّريف ، الّذي يُعدُّ من أرقى النّصوص فصاحة ، و لقد أشار إلى ذلك النّبي صلّى الله عليه و سلم بقوله :"أنا أفصح العرب غير أنّي من قريش ، و نشأت في بني سعد بن بكر " و قال في حديث آخر : "أوتيتُ جوامِع الكَلِم ".

" و من أشهر ما يُستدلُّ به في الحِجاج ،حديث الرّجل الذي جاء إلى الرّسول صلّى الله عليه وسلّم ناكرا لون ولده قائلا : يا رسول الله إنَّ امرأتي و لدت غلاما أسود ، فقال له الرّسول صلى الله عليه و سلم :"هل لك مِن إبِل" قال : نعم، فقال :"ما ألوانها "؟ قال : حُمُر قال : "هل فيها أوْرَق " قال : نعم ، قال :" فَمِن ذلك" ، قال : لعلّ عِرقا نزعَه ، فقال الرّسول صلّى الله عليه وسلم:" وهذا الغُلام لعلَّ عِرقا نزعَه ".[1]

و يتمّيز أسلوبه صلّى الله عليه و سلّم بالفصاحة و الإيجاز، فهو يبلغ الفكرة دون حشوٍ و لا إطناب، طلبا للفائدة و المنفعة و بحْثا عنِ الإقناع و التأثير، و تُعدُّ هذه الخصائص المتوفِّرة في

[1] حمو النقاري : الحجاج طبيعته و مجالاته ووظائفه ، منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية ، الرباط : ندوات و مناظرات رقم 134 ط1 2006 ، عن علي الإدريسي : في تأسيس الحجاج لدى مفكري الإسلام ،ص 83 .

حديثه صلّى الله عليه و سلّم في قمة البلاغة و الفصاحة العربية ، فهو نموذج فريد للبيان العربي الدّال و المفيد ، فكلامه صلّى الله عليه و سلّم تشريع ربّاني ، كما تقدّم ، يقرِّر فيه أحكاما إلهية ويمثّل الدّستور الّذي ينظِّم حياة المسلمين ، معتمدا في كلامه على مجموعة من الأدوات والوسائل الإقناعية المتضمَّنة في الحديث حسب ما يقتضيه المقام ، لأنّه كلام رسول ربّ العالمين .

و قد عرفت الثّقافة الإسلامية في العصور الوسطى الجدل الفكري أو القياس الجدلي خصوصا مع علماء الكلام ،و الفلاسفة ، إذْ تناوله علماء الكلام ، بعد نشوب الفتنة الكبرى بين عليٍّ ومعاوية رضي الله عنهما ، و ظهور مجموعة من الفرق الكلامية كالمرجئة و الشيعة والخوارج و المعتزلة و الماتريدية و الأشاعرة ، مجموعة من القضايا المتعلقة بحقائق أصول الدّين و العقيدة ، كالتّوحيد (رؤية الله ، كلام الله ، صفات الله)، و العدل ، ونظرية الحسن والقبيح والوعْد و الوَعيد ، و المنزلة بين المَنْزلتين ، و الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر .

و هكذا فقد اختار "علماء الكلام منهج الجدل و المناظرة من أجل الدّفاع عن هذه الحقائق الدّينية ، وإبداء وجهة النّظر في المسائل الدّينية و السّياسية العويصة الّتي فرضها الواقع السّياسي و ذلك في علاقته بفقه النّص، و فِقْه الواقع"[2] ، وفي هذا الصّدد يعرِّف ابن خلدون علم الكلام بأنه: "العلم الّذي يتضمّن الحِجاج عن العقائد الإيمانية بالأدّلة العقلية ، و الردّ على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذهب السّلف وأهل السُّنَّة "[3].

ويُلاحَظ أنّ من أهم الفرق الكلامية الّتي كان لها باع كبير في عملية الحِجاج ، نذكر:

المعتزلة و الأشاعرة ، فالفرقة الأولى كانت عقلانية تعطي الأولوية للعقل قبل ورود النّص فترى العقل السبيل الوحيد لمعرفة الصّواب من الخطأ ، و التّمييز بين الخير و الشّر ، و التّفريق بين الحَسن و القبيح، و قد دافعت عن حرية الإنسان في خلق أفعاله ، عكس الجبرية التي كانت تقول: "إنّ الإنسان مُجبَر على أداء أفعاله خيرا و شرا ".

في حين كانت الفرقة الثانية و هي الأشاعرة تعطي الأولوية للنّص على حساب العقل .

---

[2] جميل حمداوي : من الحجاج إلى البلاغة الجديدة الجديدة : إفريقيا الشرق ، المغرب ، 2014 ، ص 16 .

[3] تاريخ ابن خلدون ، ج1، الناشر دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ط4، ص 485.

وقد قالت بنظرية الكسْب على مستوى أفعال الإنسان، يعني هذا أن الإنسان مُخيَّر على كسْب أفعاله و القيام بها من نحوِ إرادته و مشيئته، لا هو مُجبَر عليها.

وإذا كان علماء الكلام يستعملون الجدل و العقل و المنطق و البرهان في الدّفاع عن الحقائق الدّينية و السّياسية، و يستعملون التّأويل في قلب الظّاهر، و استكشاف الباطن، و تحويل الحقيقة إلى مجاز درءا لكل تشبيه و تجسيد و تشخيص ، وإبعاد قياس الغائب على الشّاهد.

فابن رُشد يرى منهجهم (علم الكلام) منهجا افتراضيا قائما على الجدل و الاحتمال ،وينطلق من مقدّمات افتراضية ، و يشبه هذا المنهج منهج الشّكّاك من السوفسطائيين ، الّذين كانوا ينطلقون من نتائج خاطئة ،ويصلون إلى نتائج صحيحة ، في حين إنّ منهج الفلاسفة منهج برهاني ينطلق من نتائج يقينية ليصل إلى نتائج يقينية ، أمّا منهج الفقهاء و الجمهور من عامّة النّاس فمنهجهم ظاهري و خطابي .

و المقصود من هذا كلّه أنّ المسلمين القدماء قد تناولوا الحِجاج المُتمثّل في الجدل في المناظرات و المعتقدات خاصّة منهم " علماء الكلام الّذين تسلّحوا بالجدل و المناظرة من أجل الدّفاع عن الحقيقة الرّبّانية ، و تنزيه الذّات الإلهية عن كلّ نقصٍ أو عجزٍ أو تجسيدٍ بشري "[4]

ومن جهة أخرى يذهب فلاسفة المسلمين بما فيهم : الكندي ، و الفارابي ، و ابن سينا ، وابن طفيل ، وابن باجة ، وابن رُشد .....إلى أنّ :" الحقيقة هي الهدف الأسمى الذي يسعى إليه الإنسان الفيلسوف، وهي أساس الكمال و السّعادة و الفضيلة ، و بالتّالي لا تتحقّق هذه الحقيقة إلاّ عن طريق استخدام العقل و البرهان و النظر المنطقي ، لكنْ هؤلاء الفلاسفة كانوا يعترفون بأنّ ثمَة حقيقتيْن : الحقيقة الفلسفية و الحقيقة الشرعية "[5] .

و عليه فإنّ علماء الكلام قد وظّفوا الجدل خاصة في المناظرات من أجل الدفاع عن الحقائق الدينية و تنزيه الذات الإلهية عن كل نقص و تشبيه ، و اختار الفلاسفة الحِجاج البرهاني

---

[4] جميل حمداوي : من الحجاج إلى البلاغة الجديدة ، ص20.

[5]. المرجع نفسه ،ص20

(Argumentation Démonstratif) والمنطقي (Logiquement) الذي وضع أُسسَه أرسطو في كتابه عن المنطق ، و اعتمد الفقهاء على ظاهر النّص في الوصول إلى الحقيقة الرّبّانية .

و إذا نظرنا إلى الثّقافة المعاصرة ، فمازال الحِجاج الجدلي حاضرا في الخطابات السّياسيـــّة والإعلامية و الصّحفية و الفلسفية و المناظرات و السِّجالات الحوارية العاديّة أو الرّاقية .

" وما كان هذا إلاّ نتيجة العودة إلى النّظر في كتب أرسطو حول الجدل و الخطابة و الشّعـــــر و السفسطة ، إنّ هذه الحاجة المعرفية إلى إحياء الخَطابة (Rhétorique) ، و تطوير الدّرس الحِجاجي تضافرت مع حاجـــــة أخرى ارتبطت بما استجدّ في الحياة العامّة من تحوّلات شملت مختلف المجالات الاجتمـــاعيـــة و السّياسية ، و تجسّدت بعض مظاهرها في انتعاش النُّظم السّياسية الديمقراطية "[6]

و قد مثّلت وسائل الإعلام مجالا أساسيا لبروز هذا التّنافس، خصوصا و أنّها شهِدت تطورا هائلا مع ثورة الاتصال السّمعي البصري ، بحيث أصبح العالم يعيش في عصر سِمتُه التّواصـــــــل ، و بالأساس التّواصل الحِجاجي ، الذي يسعى فيه الفرد إلى إقناع غيره ، فلا تكاد تمرُّ لحظة إلاّ وتعترض المرء مبارزة حجاجية ، سواءا أكان ذلك حديثا عابرا في الشّارع أم مُباحثَة علمية في الجامعة ، أم مُرافعة قضائية في المحكمة ، أم مُقارعة سياسية في وسائل الإعلام المتنوعـــــة ، وغيرها كثير .

" ولابدّ لهذا الواقع الحِجاجي الثّري من علم ينظر فيه و يبحث في أسئلته و قضاياه ويواكـــــب تطوراته و تقلباته ، إذ سرعان ما بدأ الحديث عن ميلاد فرع علمي جديد يسمّى بالخَطابة الجديـدة ،ويُسمىّ كذلك بالحِجاج "[7] .

وكانت نقطة البداية في هذا الاهتمام الجديد من توقيع شاييم بيرلمان chaïn perelman وأولبريخت تيتيكا olbrechts tyteca من خلال كتابها في "الحِجاج "الذي صدر سنة 1958 بعنوان: البلاغة الجديدة / مُصنّف في الحِجاج (traité de l’argumentation : la nouvelle

[6] حافظ إسماعيلي : الحجاج مفهومه و مجالاته ، دراسات نظرية و تطبيقية في البلاغة الجديدة ، عالم الكتب الحديث، إربد-الأردن ، ج1 ، 2010 ، ص776 .
[7] حافظ إسماعيلي : الحجاج مفهومه و مجالاته ، ص 777.

(rhétorique، وحاول فيه الباحثان إحياء الخَطابة في حُلّةٍ جديدة ،والإتيان ببلاغة جديدة منفتحة على أسئلة العصر و قضاياه المستجدة ، وكانت غاية هذا الكتاب هي إعادة ردّ الاعتبار لمجال الحِجاج ، ورفع كلّ التّهم المُغالِطة والمُشكِّكة و المُخادِعة التي أُلصِقـــت به ، وبيان هدف وحقيقة و غاية هذا الحِجاج منْ منظور عقلي واقعي و إلزامي صحيح .

كما تناوله ثُلّة من الباحثين العرب فتوسّعوا فيه وألفوا فيه التّصانيف الكثيرة ،و هذا إنْ دلّ فإنّه يدلّ على اهتمامهم بهذا العلم الدّقيق والمتشعب .

و قد قمت بتوضيح و تفصيل أصول الحِجاج منذ مراحل بدايته و ظهوره، ثم بعثِه من جديد بصورة مُغايِرة لما كان معهودا منْ قبل إلى عصرنا الحاضر.

الفصل الأول:

الحِجاج عند العَرَب و الغَرْب

قديما و حديثا

تمهيد :

يحتوي هذا الفصل على مبحثين :

المبحث الأول ، يتناول باختصار مفاهيم و ألفاظ الحِجاج في الثقافتين العربية و الغربية القديمة وما أدرجه البلاغيون في ربطهم للحِجاج ، بالبلاغة و الخَطابة ، و ورد بتسميّات مختلفة ، جاء بمعنى الجَدَل ، التَّناظُر ، المُخاصمَة ، و المُجادَلَة ، و البُرهان ، .....

و قد نظر فلاسفة اليونان أمثال سقراط و تلميذه أفلاطون و بَعْدَهُما أرسطو و قبل ذلك السوفسطائيون ، للحِجاج بنظرة تختلِف عن العرب حسب الثّقافات الاجتماعية و المُعتقدات الدّينية لكلٍ منهما .

أما المَبحث الثّاني : فقد حوى مفهوم الحِجاج أيضا ، لكن من وِجهةٍ حديثة و حُلّة جديدة وِفْقَ مُستجدّات العصْر الرّاهنة ، أكسَبتْه أبعادا واسعة و متشعِّبة في كافّة الميادين .

ومن هنا أصبح الحِجاج أداة لمناقشة الأفكار مهما كانت طبيعتها و مصداقياتها و الغرض من كل ذلك هو التأثير أو الإقناع أو الحوار أو مناقشة الآراء المطروحة بالتّشكيك في صحّتها أو معارضتها أو تأييدها أو تثبيتها .

و بعبارة أخرى تميّز الحِجاج بمنظور بلاغي أكثر ممّا هو حِجاجي بين مرحلتين : مرحلة البلاغة الكلاسيكية و مرحلة البلاغة الجديدة ، و إذا كانت البلاغة التقليدية بلاغة معيارية تعليمية تربط فَنّ البلاغة بالخَطابة و الإقناع و البيان و الجدل و التّغلُّب على الخصْم فإنّ البلاغة الجديدة قد تعاملت مع الخِطابات النّصِّية المُختلفة تعاملا عِلْميّا ، وصْفيّا جديدا ، فقد أصبحت للبلاغة اليوم ساحة واسعة و امتدادات شاسعة.

المبحث الأول :الحِجاج عند العَرَب و الغَرْب قديما

1-مفهوم الحِجاج عند العَرَب القدماء :

يضرب مصطلح الحِجاج في السّياق العرَبي بجذور عميقة ، فتَعريفُه من النّاحية الاصطلاحيـــة لا يختلف كثيرا عن معناه اللّغوي ، مع وجود اختلافات جزئية في الجِذْر (ح ج ج) فهناك مَـــن يستعمل "الحِجَاج" و هناك من يُفضِّل " التَّحَاجْ "و هناك من يفُكُّ الإدغام فيقول : (التَّحَاجُج) ونجد منْ يستعمل (المُحَاجَّة) و نجد أيضا من يفُكُّ الإدغام فيقول : (المُحَاجَجَة) .... وغيـــر ذلك من التّصريفات الاشتقاقية[8].

جاء في لِسَان العَرَب لابن منظور " حَاجَجْتُهُ أُحاجُّه حِجَاجا ومُحاجَّة حتى حَجَجْتَه ، أيْ : غلبتُه بالحُجَجِ التي أدْلَيْتُ بها ....

و الحُجَّة البُرهان ، و قيل الحُجَّة ما دُوفِع به الخصْم ، قال الأزهري : الحُجَّةُ الوجْه الذي يكـون به الظَّفَر عند الخُصومَة ، و هو رجُل مِحْجَاج أيْ : جَدِل .

و التَّحَاجُّ : التَّخاصُم ، و جمْعُ الحُجَّة : حُجَج ، و حَاجَّهُ مُحاجَّة و حِجاجًا أي : نازعه الحُجَّة و في الحديث : فَحجَّ آدم موسى " أيْ : غلبَهُ بالحُجَّة ، و احْتجَّ بالشّيء اتَّخذهُ حُجَّةً.

قال الأزهري : إنّما سُمّيت حُجَّة لأنّها تَحُجُّ أيْ: تقصد ، لأنّ القصْدَ لها و إليها و كذلك مَحَـــجَّةُ الطّريق هي المَقْصَدُ و المَسْلك.....

و الحُجَّةُ الدّليل و البُرهان، يُقال: حاجَجْتُه فأنا مُحَاجّ ، و حَجِيج ، فَعِيل بمعنى فاعل ، و مـنـــه حديث معاوية فجعلتُ أحُجُّ خصْمي أغلِبُه بالحُجَّة[9] .

---

[8] حافظ إسماعيلي علوي : الحجاج مفهومه ومجالاته ، دراسات نظرية و تطبيقية في البلاغة الجديدة، إشراف –عالم الكتب الحديث –إرب د– الأردن . ج 2010 . ص 03 .

[9] ابن منظور (جمال الدين أبو الفضل) لسان العرب ، تحقيق عبد الله علي الكبير/ محمد أحمد حسب الله/ هاشم محمد الشاذلي دار المعارف القاهرة ، مادة (ح ج ج) ، ج2 ، ص 779 .

و مما سبق فالحِجاج من النّاحية اللغوية مرادِف للجَدَل ، و حَدُّ الجَدَل وِفق ابن منظور مقابلة الحُجَّة بالحُجَّة ، و الجَدَل اللَّدَدُ في الخُصومَة و القدْرة عليها ، و قد جادَلَه مُجادَلةً و جِدالاً ورجُل جَدِل ، أيْ : شديد الجَدَل ، و جادلتُ الرَّجل فجَدلْتُه ، أيْ : فغلبتُه ، و الجَدَل شِدَّة الخُصُومَة

و في الحديث : " مَا أُوتيَ الجَدَل قومًا إلاَّ ضَلُّوا " و الجَدَل مُقابلة الحُجَّة بالحُجَّة ، والمُجادَلةُ المُخاصَمَة و المُناظَرَة ، على أن ابن منظور يجعل الحجاج مرادفا للجدل صراحة في قوله :

" هو رجُلٌ مِحْجَاج أيْ : جَدِلٌ"[10] .

و على هذا يكون الحِجاج ، و الخِصام بواسطة الأدلَّة و البراهين و الحُجَج ، فيكون مرادِف للجَدَل .

أمّا ابن فارس في كتابه " مَقاييس اللّغة فيعرِّف الحِجاج على النّحو الآتي : يُقال حاجَجْتُ فلانًا فحَجَجْته أيْ: غلبْتُه بالحُجَّة ، وذلك الظَّفر يكون عند الخُصومَة ، و الجَمْع حُجَج ، و المصدر الحِجَاج "[11] .

و كذلك تناول الزّمخشري كلمة حِجاج في كتابه " أساس البلاغة " حيث يقول : " حَجَجَ: احْتَجَّ على خصْمِه بحُجَّةٍ شهْباء ، و بحُجَجٍ شُهُب ، و حَاجَّ خصْمَهُ فحَجَّه ، و فلانٌ خصْمُه مَحْجُوجٌ وكانت بينهما مُحاجَّة و مُلاجَّة "[12]

يتبين لنا من هذين التعريفين أن اللغويين العرب القدامى يشتركون في مفهوم واحد ، هو أن الحجاج يكون أثناء المخاصمة بين شخصين حيث اعتبروا أن الحجة وسيلة يستعملها المتكلِّم للتّفوُّق و أخذ الظَّفر على خصْمِه .

وهذا ما بيَّنه التّعريف الأوّل: " ما حاجَجْتُ فلانًا فحَججتُه أيْ : غلبتُه بالحُجَّة منَ الخُصومَة " وتجلَّى كذلك في التّعريف الثّاني " احْتَجَّ على خصْمِه بحُجَّةٍ شهْباء " فهو إذن يحمِل طابع المُنازعة و الخُصومَة.

---

[10] ابن منظور : لسان العرب ج1، دار صادر بيروت ،ط3 ، مادة (جدل) ص 99 .

[11] أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، 1411هـ-1991 م – مقاييس اللغة ، ط1- مج 2 ، دار الجيل ، بيروت ص73 .

[12] أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري دار الله ، 1412هـ- 1992 م، أساس البلاغة ، دار صادر بيروت، ص 113

أما الزّركشي فذكر في كتابة " البرهان في علوم القرآن " فإنّه لا يتكلّم عنِ الحِجاج، و الجَدَل وإنَّما عن البُرهان و الاستدلال ، يقول : " فاعلم أنَّ القرآن العظيم قدِ اشْتمل على جميع أنواع البراهين و الأدلة، وما من برهان و دلالة و تقسيم و تحديد شيء من كليات العلوم العقلية والسمعية إلا وكتاب الله قد نطق به "[13]

و هكذا فإن الحجاج، و الجدل ، يردان مترادفين و متداخلين عند العرب القدامى فقد كان جلال الدين السيوطي في كتابه " الاتفاق في علوم القرآن " يقصد حين يذكر الجدل مفهوم البرهان ومعه نوع منطقي نستنتج منه النتائج من المقدمات "[14] .

فالإمام السيوطي يجمع بين الحجاج و الجدل و البرهان و هو في ذلك كله يشير بصورة مبطنة إلى المذهب الكلامي أو " علم الكلام " و على هذا تتجلى ميادين الحجاج عند القدماء في ثلاثة فروع تأثرا بالإرث اليوناني و خاصة لدى أرسطو في كتابه " الجدل "

و من العرب القدماء الذين يربطون الحجاج بمفهوم الجدل ، ابن حزم الأندلسي الظاهري ، إذ لا يذكر لفظ الحجاج إلا و يقصد به الجدال و العكس صحيح ، و هذا حين صنف الجدال إلى صنفين مستندا إلى القرآن الكريم [15] .

- **الصنف الأول:** صنف محمود مستحب و هو الجدال بالتي هي أحسن، و الهدف من ورائه تأييد الحق و إظهار ه و نصرته، يقول تعالى :

وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ)

سورة النحل الآية 125

- **الصنف الثاني:** و هو مذموم و ينقسم إلى قسمين:

أ)- قسم يجادل فيه المخاصم عن جهل، قال تعالى:

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ) سورة الحج الآية 8

[13] الزركشي : البرهان في علوم القرآن ، دار التراث ، القاهرة ، د ط ، دث ، ص 24.
[14] جلال الدين السيوطي : الإتقان في علوم القرآن ، ج2 ، دار بين كثير ، دمشق ، د ط ، ص 155 .
[15] ابن حزم :الإحكام في أصول الأحكام ، م1 ، منشورات دار الآفاق ، بيوت ، 1983 ، ص 89 .

ب)- قسم يجادل المخاصم بتعنت بعد بيان الحق و ظهوره قال تعالى:

(وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنْذِرُوا هُزُوًا)

سورة الكهف الآية 56

ومن العلماء القدماء من يستعمل في أسلوب المجادلة للتفريق ما بين الحق و الباطل و تمييز الصحيح من السقيم ، ومن هؤلاء ، أبو الوليد الباجي الذي يقول : " و هذا العلم من أرفع العلوم قدرا و أرفعها شأنا لأنه السبيل إلى معرفة الاستدلال و تمييز الحقّ من المُحال و لولا تصحيح الوضع في الجدل لما قامت حُجَّة ،و لا اتّضحت مَحجَّة و لا عُلِم الصّحيح من السقيم [16] .

كما نجد ابن حزم انشغل كثيرا بالحجاج و هذا ما يظهر في موسوعته الموسومة " الفصل في المِلل و الأهواء و النِّحل " إذ خصّ في الكتاب فصولا حجاجية بغض النظر عن ضعفها وقوتها.

فقد زخرت كتاباته الفلسفية بطابع حجاجي ، حتى أصبح يلقب بالمفكر الحجاجي ، بدليل أنه كان لا يهدأ من السجال و الحجاج و الجدال بالمناظرات لدرجة أنه يناظر كل شخص يقابله ، لأن المناظرة و الحجاج هي الحد الفاصل بين الصدق و الكذب فقد اشتهر بالجدال العنيف ، فلم يكن مناظرا من أجل المناظرة بل كان مساهما في بناء الحقيقة ، فقد تميز بنزعة نقدية عقلانية تتمسك بالنص[17].

كما كان يعتمد كذلك خلال مناظراته على الأدلة العقلية ، و هي في نظر " ابن حزم " القرآن أو السنة أو إجماع الصحابة ، فهو يستبعد أي اشتراك إنساني في المسلك الديني ، و لأن أحكام الدين كلها من القرآن و السنن لا تخلو من أحد وجهين لا ثالث لهما ، إما وحي مثبت في المصحف و هو القرآن ، و إما وحي غير مثبت في المصحف و هو بيان رسول الله [18] .

---

[16] أبو الوليد الباجي : المنهاج في ترتيب الحجاج : تحقيق : عبد المجيد التركي ، دار الغرب الإسلامي ط2 ، 1987، ص 08

[17] ينظر النقاري : التحجاج طبيعته و مجالاته ووظائفه ، عن محمد آيت حمو: ابن حزم، فارس ، الحجاج في الأندلس ص 127 .

[18] عبد المجيد تركي: مناظرات في أصول الشريعة الإسلامية بين ابن حزم ، و الباجي ، تحقيق و تعليق: د عبد الصبور شاهين ،مراجعة ، عبد الحليم محمود ، دار المغرب الإسلامي ، بيروت – لبنان ، ط1 ، 1986 ، ص 166 .

أما مفهوم الحجاج عند البلاغيين فهو استعمال تلك الآليات و الأدوات التي يتوصل من خلالها إلى قلب السامع و التأثير فيه ، و الوصول إلى غاية الإقناع و الإفهام و الحجة و البرهان فوظفوه في مؤلفاتهم ، وقد تناول الجاحظ فصولا كثيرة فيما يتعلق بالحجاج .

فهو يصف في كتابه " البيان و التبيين " فيما يخص الخطيب ، أو الرجل البليغ بقوله : " أول البلاغة اجتماع آلة البلاغة ، وذلك أن يكون الخطيب رابط الجأش ، ساكن الجوارح ، قليل اللحظ متخير اللفظ ، لا يكلم سيد الأمة ، بكلام الأمة ، و لا الملوك بكلام السوقة ، و يكون في قواه فضل التصرف في كل طبقة ، و لا يدقق في المعاني كل التدقيق ، و لا ينقح الألفاظ كل التنقيح ولا يصفيها كل التصفية ، ولا يهذبها كل التهذيب [19] .

ففي هذا النص يتضح " أن الغاية القصوى عند الجاحظ ، هي الخطاب الإقناعي الشفوي وهو إقناع تقدم فيه الغاية (الإقناع) على الوسيلة (اللغة) و تحدد الأولى طبيعة الثانية و شكلها حسب المقامات و الأحوال[20].

و لم يقتصر الجاحظ حديثه على تعداد مميزات الخطيب الايجابية التي تمنح خطابه القبول من حلاوة القول و الحذق فيه ، بل فطن إلى التنبيه على الخصائص السلبية التي تضعف من موقفه مثل العيوب النطقية ، و " العيّ "[21] .

كما نجد الجاحظ قد قال أيضا : إن صديقه سأل العتابي ما البلاغة ؟ فأجابه : " كل من أفهمك حاجته من غير إعادة و لا حبسة و لا استعانة فهو بليغ ، فإن أردت اللسان الذي يروق الألسنة ويفوق كل خطيب فإظهار ما غمض من الحق و تصوير الباطل في صورة الحق [22] .

فالبلاغة بالنسبة إلى العتابي تظهر الحق الذي كان غامضا و تخرج الباطل في صورة الحق ونصل إلى هذا كله بفضل الغاية الإفهامية و الإقناعية للبلاغة .

---

[19] الجاحظ : البيان و التبين ، د ت ، ج1، تحقيق و شرح : عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل ، بيروت ، ص 115.

[20] الشهري (عبد الهادي بن ظافر) : استراتيجيات الخطاب ، مقاربة لغوية تداولية ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت ، ط1 ، 2004 ، ص 448 .

[21] المرجع نفسه، ص 448 .

[22] الجاحظ : البيان و التبين ج1 ، ص 113 .

وقال كذلك في موضع آخر: " البلاغة اسم جامع لمعان تجري في وجوه كثيرة فمنها ما يكون في السكوت، و منها ما يكون في الاستماع و منها ما يكون في الإثارة ،و منها ما يكون في الاحتجاج و منها ما يكون جوابا و منها ما يكون رسائل "[23].

يتضح لنا من خلال هذا القول: أن البلاغة شأنها عظيم فهي تدخل في ميادين كثيرة، فأي شيء يحصل به الفهم و الإقناع فالبلاغة أولى به.

و يعتبر الجاحظ من رواد البلاغيين إذ عرف البيان فقال: " اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى ، و هتك الحجاب دون الضمير ، حتى يفضي السامع إلى حقيقته ، و يهجم على محصوله كائنا ما كان ذلك البيان و من أي جنس كان الدليل[24].

فغاية البيان هنا كل شيء يبين و يظهر حقيقة المعنى و يكسر أسباب الغموض و الإبهام، حتى يصل إلى الغاية المقصودة و هي الفهم و الإفهام.

لقد بين الجاحظ في كتابه " البيان و التبيين " بعد إيراده تعريفات البلاغة أنها هي : الحجاج في حد ذاتها ، لأن كل تعريف أورده الجاحظ للبلاغة يتناول قضية من قضايا الحجاج الكبرى وآلية من آليات اشتغاله في الخطاب ، و هي تدخل مباشرة في مسائل الحجاج و قد تكون من المسائل الخاصة به ، لذلك نجد الجاحظ يهتم بتقنيات الخطابة في أبعادها الثلاثة : الخطيب الخطبة ، المخاطَب .

و من المؤكد أن الغاية من الحجاج هو استمالة القلوب و إقناعها و هو ما يبينه الجاحظ في كتابه ، و قد بين علاقة البلاغة بالخلق الإسلامي الذي يضمن الصواب و الصدق بعيدا عن الكذب و المراوغة و المخادعة ، بل إن القضية الصادقة تكون نتيجتها صادقة .

فإذن الغاية عند الجاحظ لا تبرر الوسيلة ، و الخَطابة عند الجاحظ وظيفتها البيان و التبيين وهذه الوظيفة لا تتحقق إلا بأحكـــام سياسة القول التي كثيرا ما نادى بها في مكتوبـــاته على

[23] المصدر نفسه ، ص 115 – 116.
[24] المصدر نفسه ص76 .

اختلاف موضوعاتها، لعلمه بأن مدار الفهم و الإفهام عليها ، و أن غاية الفهم و الإفهام الإقناع [25]

فالبلاغة إذن ليس زخرفة و تزيين و تنسيق في الكلام فالمدقق الحذق في كتب القدامى يكتشف أن الهدف منها هو الإقناع، و بالتالي هدفها الأساسي هو حجاجي بالدرجة الأولى.

و هذا أبو هلال العسكري الذي صاغ مفهوما خاصا للبلاغة حيث قال : " البلاغة كل ما تبلغ المعنى قلب السامع فتمكنه في نفسك مع صورة مقبولة و معرض حسن [26]" كما أورد العسكري أيضا عن العربي أنه قال : " البلاغة تقرب من المعنى البعيد و التباعد من حشو الكلام ، و قرب المأخذ و إيجاز في صواب ، و قصد إلى الحجة و حسن الاستعارة " [27] .

و بناءا على هذين التعريفين يظهر أن مفهوم البلاغة واحد ، هو الوضوح و رفع الغموض والكشف عن المعنى والدلالة عليه .

كما نرى كذلك أنه ربط الحجاج بالشعر ، و أن الوظيفة الحجاجية لا يستغني عنها الشاعر لبلوغ غاية الفهم و الإقناع فيقول : " و هو الذي يملك ما تعطف به القلوب النافرة ، و يؤنس القلوب المستوحشة و تلين به العريكة الأدبية المستعصية ويبلغ به الحاجة و تقام به الحجة " [28] ففي نظر أبي هلال العسكري أن الشعرهو الفن الأساسي لإقامة الحجج و رفع الغموض والإبهام.

و قد تكلم كذلك " ابن وهب " عن الحجاج و ربطه بالجدل و المجادلة، يقول في كتابه " البرهان في وجوه البيان " : " و أما الجدل و المجادلة فهما قول يقصد به إقامة الحجة فيما اختلف فيه المجادلون ، و يستعمل في المذاهب و الديانات ، وفي الحقوق و الخصومات و التنصل في الاعتذارات "[29].

نرى في هذا التعريف أنَّ الحِجاج هو الجَدَل و المُجادلَة لإقامة الحُجَّة .

---

[25] حافظ إسماعيلي: الحجاج مفهومه و مجالاته، ص 254 –255 .

[26] أبو هلال العسكري : كتاب الصناعتين ، تحقيق ، علي محمد البجاوي و محمد أبو الفضل ، منشورات المكتبة العصرية 1406هـ ، 1986م ، بيروت ، ص 10.

[27] المصدر نفسه ص 47 .

[28] المصدر نفسه ص 49 .

[29] أبو الحسين إسحاق ابن وهب : البرهان في وجوه البيان ، تقديم و تحقيق : جفني محمد شرف ، مطبعة الرسالة ، عابدين مصر ، د ط : د ت ، ص 176.

كما نراه قد صنف الجدل إلى جدل محمود و جدل مذموم ، حيث ربطه بالأخلاق و السلوكات كما بينه بقوله " فأما المحمود فهو الذي يقصد به الحقّ ، و يستعمل فيه الصِّدق ، وأمّا المذموم فما أريد به المماراة و الغلبة ، و طلب به الرِّياء و السُّمعة[30].

و قد مدح القرآن الكريم الجَدلَ المحمود ، كما في قوله تعالى :

(وَلَاتُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) سورة العنكبوت الآية 46

أم الجدل الذي جاء به للمماراة و الباطل فقد نهى الله عنه و ذمه كما في قوله تعالى :

(هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا)

سورة النساء الآية 109

و قوله تعالى : (وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ) سورة الشورى الآية 16

و الأولى بالمجادل أن يبني مقدماته مما يوافق الخصم عليه ، و ذلك لإلزامه الحجة من قوله .

و أفضل مثال نسوقه هنا هو قول الله تعالى لليهود لما أراد إلزامهم الحجة فيما حرموه على أنفسهم بغير أمر ربهم :

كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (93) فَمَنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ)

سورة آل عمران الآية 93- 94

[30] المرجع السابق ، ص 179.

فجادلهم بكتابهم الذي يقرون بمفروض ما فيه ووجوبه وجوب التسليم له ، فلما ظلموا و عتوا كان التشديد لازما لهم[31].

كما نجد كل من " ابن وهب " و "ابن خلدون " يجعلان الحجاج آلة من آلات الجدل وجزاء منه لكن آراءهم ليست بعيدة في دلالاتها عمن أوردوا الحجاج كوجه من أوجه الكلام وأجناسه كما يذهب إلى ذلك " حازم القرطاجي " في قوله : " لما كان كل الكلام يحتمل الصدق أو الكذب إما أن يرد على جهة الإخبار أو الاقتصاص ، و إما أن يرد على جهة الاحتجاج والاستدلال ....."[32].

و قد بلوره " ابن خلدون " في المقدمة عند حديثه عن علم أصول الفقه و أقرب ضرورة استعمال الحجاج بوصفه آلية الإقناع المثلى في زمن كثرت فيه أسباب الخلاف ، فاستتبعت كثرة المناظرات ، وهذا ما أفضى به الحديث عما يسميه بالجدل معتبرا أنه " معرفة أداة المناظرة التي تجري بين أهل المذاهب الفقهية و غيرهم (.....) و لذلك قيل فيه إنه معرفة بالقواعد ، من الحدود و الآداب ، في الاستدلال ، و التي يتوصل بها إلى حفظ رأي أو هدمه ، سواء كان ذلك الرأي من الفقه أو غيره ، " و كان له الباعث على تحديد المناظرات هو علمه باتساع باب المناظرة في القول و الرد " [33] .

و على حد تعبير ابن وهب " و بما أن الجدل يقع فيما اختلف فيه من اعتقاد المتجادلين فإن المنظرين للجدل يؤكدون أهمية الاعتبار الأخلاقي لضبط مقامات الجدل ، لهذا وجب على المجادل أن يتحلى بالخلق العلمي الرفيع ، وأن لا يماري ولا يعاند و لا يكابر إن كانت حجة خصمه أقوى و أظهر ، لأن ذلك يذهب ببهاء علمه ، و يطفئ نور بهجته و ينسبه به أهل الدين والورع إلى الإلحاد و قلة الأمانة.

وقد اشترط ابن وهب في أدب الجدل شروطا هامة تحمل الملتزم بها إلى السمو و الرفعة والغلبة لعل من أهمها:

---

[31] حافظ اسماعيلي الحجاج مفهومه و مجالاته ، ص 259 .

[32] حازم القرطاجي : منهاج البلغاء ، وسراج الأدباء ، تونس ، د ط ، 1966م ص 62.

[33] حافظ إسماعيلي : الحجاج مفهومه و مجالاته ص 260 .

1)- أن يخرج من قلبه التعصب للآباء و أن يعتزل الهوى فيما يريد إصابة الحق فيه.

2)- ألا ينقاد لزخرف القول و ظاهر رياء الخصم، و ألا يقبل من ذي قول مصيب كل ما يأتي به لموضع ذلك الصواب الواحد، و العكس صحيح.

3)- ألا يستعمل اللِّجاج ، فإن العصبية تغلب على مستعملها فتبعده عن الحق ، و تصده عنه.

4)- ألا يعجب برأيه و أن يتجنب الكذب في قوله و خبره لأنه خلاف الحق ، وإنما يريد بالجدل إبانة الحق و اتِّباعه.

5)- أن يكون منصفا غير مكابر.

6)- أن يحترز من مغالطات المخالفين و من مشبهات المموهين .

7)- و أن يحلم عما يسمع من الأذى و النبز.

8)- أن يجتهد في تعلم اللغة ، ويتَمهَّر في العلم بأقسام العبارة فيها و أن يحرس من إشراك الأسماء و اختلال المعاني باللغة و المعرفة بها.

9)- و أن لا يسحره بيان خصمه فيظن أن حقه قد بطل.

10)- و أن لا يسمع خصمه ما لا يفهم من القول و الألفاظ لأن ذلك يعد عيا ، و سوء عبارة ووضعا للأشياء في غير موضعها [34].

هذه باختصار أخلاقيات الجدل عند ابن وهب لأن الغاية هي الظفر بالحق و الالتزام به.

و يمكن تصنيف خلاصة ابن وهب في الجدل و المجادلة في النقاط الرئيسية التالية:

1- قدم بن وهب تعريفا دقيقا للجدل و المجادلة، وضع فيه يده على مقصد الجدل ووقوعه في مسائل خلافية ،و أما الجدل والمجادلة فهما قول يقصد به إقامة الحجة فيما اختلف فيه اعتقاد المتجادلين ، و يستعمل في المذاهب و الديانات ، وفي الحقوق و الخصومات والتنصل في الاعتذارات .

[34] المرجع السابق، ص 260-261 .

2- الجدل فيما يفهم من كلام ابن وهب خطاب تعليلي إقناعي فالجدل إنما يقع في الصلة من بين سائر الأشياء المسؤول عنها ، و ينبغي للمجيب إن سئل أن يقنع و أن يكون إقناعه الإقناع الذي يوجب على السائل القبول.

3- إذا كان مقامات الجدل مقام اختلافات و خصومات و نحوها ، فإن الاعتبار الأخلاقي من أوجب ما توجبه تلك المقامات ، بل هو أوجبها ، و ليس التميز بين جدل محمود و جدل مذموم فيما يفهم من كلام ابن وهب ، إلا تمييزا ينظر فيه إلى حضور هذا الاعتبار أو غيابه الجدل المحمود ما قصد به الحق و استعمل فيه الصدق و الجدل المذموم ما أريد به المماراة و الغلبة ، و طلب به الرياء و السمعة .

4- مما ذكره ابن وهب في مبحثي الجدل و المجادلة ، و أدب الجدل ، ما يمكن أن ينظر إليه الآن من منظور الاستراتيجيات الاتصالية الحجاجية ، من أهم ذلك :

أ)- أن يبني المجادل مقدماته مما يوافق الخصم عليه .

ب)- أن يصرف همته إلى حفظ النكت التي تمر في كلام خصمه مما يبني منها مقدماته وينتج منها نتائجه .

ج)- ألا يقبل قولا إلا بحجة و لا يرده إلا بعلة.

د)- ألا يجيب قبل فراغ السائل من سؤاله، و لا يبادر بالجواب قبل تدبره، استعمال الرّويّة فيه[35].

نفهم من خلال الخصائص السابقة أن مفهوم الحجاج قد جاء بتسميات مختلفة و متعددة وذلك باختلاف توجهات ، واعتقادات اللغويين و البلاغيين فتراه تارة بمعنى المجادلة و المخاصمة وتارة أخرى بمعنى البرهان و الاستدلال.

و يذكر " حبيب أعراب " أن السبب الذي جعل هذه المفردات أي : الحجة ، الدليل البرهان

[35] حافظ إسماعيلي : الحجاج مفهومه و مجالاته ج ح ، ص 09، 10

ترد بمعنى واحد في القواميس العربية هي وجودها ضمن دائرة البيان و البلاغة الإقناعية"[36].

" و يؤكد هذا الترادف بين الحجاج و الجدل ما نجده في كتاب البرهان في علوم القرآن للزركشي (ت 749هـ)، و كتاب الإتقان في علوم القرآن ، للسيوطي (ت 911 هـ) من ترادف بين الجدل و الحجاج ، و خصوصا في الفصل الذي عقداه لجدل القرآن ، إذ نجدهما يستخدمان في المتن ألفاظ " المحاجة " أو " الحجاج" و " الاحتجاج"، على أنها ألفاظ مرادفة للفظ الجدل ، وتسدُّ مسَدَّه "[37].

" لكن ما هو جدير بالإشارة إليه هنا أنه على الرغم من كل الاختلافات التي تحملها التعريفات التي أعطيت للحجاج ، فإنها تكاد تتفق على أن الحجاج هو بذل الجهد لغاية الاقناع ، إنه طائفة من تقنيات الخطاب التي تقصد إلى استمالة المتلقين إلى القضايا التي تعرض عليهم، أو إلى زيادة درجة تلك الاستمالة، و على هذا الأساس من الطبيعي أن يكون مجال الحجاج هو المحتمل والممكن ..... و أن يبنى على الاختلاف في الرأي، و أن يظل مفتوحا أمام النقاش و التقويم..... وأن يحضر في كل أنماط الخطاب التي تنزع منزعا تأثيريا لا يقين فيه ولا إلزام ."[38].

لقد عرضنا بإيجاز و اختصار لمعاني و مفاهيم و ألفاظ الحجاج و ما أدرجه البلاغيون في ربطهم الحجاج بالبلاغة ، وما للبلاغة ، من وظيفة حجاجية بالدرجة الأولى يتوصل من خلالها إلى بلوغ الفهم و الإفهام و البيان و الوضوح و الإقناع و الظفر بالحجة و البرهان .

و على الرغم من اختلاف العرب القدامى بحسب آرائهم و توجهاتهم و اعتقاداتهم ، لم يزدادوا إلا توسعا في اهتماماتهم لمفهوم الحجاج ، و علاقته المتصلة بالبلاغة ..... و التوسيع من دائرته والمسائل الحافة به.

---

[36] حبيب أعراب : الحجاج و الاستدلال الحجاجي " عناصر استقصاء نظري " (مقال) مجلة عالم الفكر، الكويت ، مج 30،ع1 30 ديسمبر 2001 ص 109 .

[37] حافظ إسماعيلي : الحجاج مفهومه و مجالاته ج ح ، ص 04 .

[38] المرجع نفسه،ص:04 .

فهذا بعض ما نجده عند أسلافنا القدامى في مفهوم الحجاج و ما ألفوا فيه من كتب و دواوين تدل على اهتماماتهم بالمناظرات و الخطابات المشتملة على الحجج و البراهين التي تمحورت في علم الجدل.

2 - الحجاج عند الغرب القدماء :

للإشارة فليس الحجاج ظاهرة فكرية حديثة، بل له امتدادات قديمة خاصة عند علماء اليونان والرومان، و كما ذكرنا سابقا عند المسلمين قديما، تجلى في علم الكلام و الفلسفة و علم الأصول و النحو و المناظرة و المنطق و الخطابة....، و أن الحجاج في طابعه العام ينبني على طرح الدعوة المضادة ، و استعراض الحجج و الأدلة ، و الأمثلة لإقحام الخصم ، بغية الوصول إلى نتيجة قد ينتفع بها المتلقي أو لا ينتفع " كما يستند إلى مجموعة من الآليات و الاستدلالات وأساليب التفسير و البرهنة ، و يقوم كذلك على الجدل المبني على الأطروحة و نقيضها وتركيبها واستعمال أنواع مختلفة من الأدلة "[39].

" و يمكن القول بأن الحجاج الجدلي هو الأقدم في تاريخ الإنسان ، حيث تحفل الكتب السماوية بالأخبار الدينية و قصص الرسل و الأنبياء التي تتضمن الحجاج الجدلي ، سيما الجدل الذي يتعارض عبره الهداية و الضلال أو الحق و الباطل أو التوحيد و الشرك ، وكان أغلب الرسل والأنبياء يجادلون قومهم بالتي هي أحسن ، كما فعل نوح و عيسى و موسى و صالح و هود وإبراهيم و محمد – صلوات الله عليهم جميعا وهو على أقوامهم "[40].

يقول الله تعالى : (وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) سورة النحل الآية 125 .

و يقول أيضا :

(وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا)

سورة الكهف الآية 54

[39] جميل حمداوي : من الحجاج إلى البلاغة الجديدة ، ص 10-11.
[40] المرجع نفسه ص 12 .

" هذا و قد عرف الفلاسفة اليونان الأوائل بالمنهج الجدلي كما هو حال السفسطائيين وسقراط و أفلاطون و اتخذوه منهجا لإقناع الآخرين أو التأثير فيهم، و استعمل أيضا وسيلة للوصول إلى الحقيقة أو بناء المعرفة الحقة ، بيد أن هناك من استعمله للتضليل و التشكيك و تعتيم الحقيقة كما عند معلمي السفسطة "[41].

لهذا فإن الحجاج مفهومه، " قديم قدم الفلسفة و المنطق تنسب بدايات البحث فيه عادة إلى أرسطو ، لكن لا شك في أن للسفسطائيين دورا هام في بلورته، فهم الذين قبل المعلم الأول نبهوا إلى أن كالخطاب يقابله خطاب معاكس، و أشاروا إلى أهمية التفاعل اللغوي في العلاقات الاجتماعية"[42].

و تعود جذور الحجاج إلى القرن الخامس قبل الميلاد، يحكى أن صقلية كان يحكمها طاغيتان انتزعا الأراضي من أصحابها لتوزيعها على جنودهما ، و لما أطاحت سنة 467 ق.م ثورة بالطغيان طالب المالكون باسترجاع أراضيهم المغتصبة ، و أفضى ذلك إلى رفع القضايا لا نهاية لها ، و هذه الظروف حسب ما يقال هي التي وضع فيها كوراكس و تيزياس " طريقة معقلنة " للكلام أمام المحكمة ، أي بعبارة أخرى الرسالة الأولى في الحجاج[43].

لقد كان السوفسطائيون (القرن الخامس و بداية القرن الرابع قبل الميلاد) علماء أصليين أخضعوا التصورات الأخلاقية و الاجتماعية التي كانت سائدة في عصرهم لنقد لاذع تماما ، و قد أمكن لآثارهم أن تقارن بآثار فلاسفة التنوير و السمعة السيئة التي ظلت ملتصقة باسمهم راجعة تماما إلى التشويه الذي فرضه على تفكيرهم و ممارستهم ، انتقادات أفلاطون (347 – 427 ق.م) و ينبغي لكل مقاربة للحجاج السائد أن تأخذ بعين الاعتبار ما حققته السفسطائية من مكتسبات[44].

---

[41] المرجع نفسه ص 13 .
[42] كريستيان بلانتان : الحجاج ، ترجمة عبد القادر المهيري ، دار سيناترا ، المركز الوطني للترجمة ، تونس 2008 ، ص7 .
[43] المرجع نفسه ص 09 .
[44] المرجع نفسه ص 11 ، 12

1 – الحجاج عند السفسطائيين :

لقد ظهرت المدرسة السفسطائية في القرن الخامس قبل الميلاد ، بعدما أن انتقل المجتمع الأثيني من طابع زراعي إقطاعي مرتبط بالقبيلة إلى مجتمع تجاري يهتم بتطوير الصناعات وتنمية الحرف و الاعتماد على الكفاءة الفردية و المبادرة الحرة ، و أصبح المجتمع في ظل صعود هذه الطبقة الاجتماعية الجديدة (رجال التجارة و أرباب الصناعات) مجتمعا ديمقراطيا يستند إلى حرية التعبير و الاحتكام إلى المجالس الانتخابية و التصويت بالأغلبية ، ولم يعد هناك ما يسمى بالحكم الوراثي أو التفويض الإلهي ، بل أصبح المواطن الحر له الحق الكامل في الوصول إلى أعلى مراتب السلطة ، لذلك سارع أبناء الأغنياء إلى تعلم فن الخطابة و الجدل السياسي لإفحام خصومهم السياسيين ، وهنا ظهر السفسطائيين لكي يزودوا هؤلاء بأسلحة الجدل والخطابة و استعمال بلاغة الكلمة في المرافعات و المناظرات الحجاجية و الخطابية ، وقد تحولت الفلسفة آنئذ إلى فن الجدل بامتياز و اتخذت وسيلة لكسب الأرباح المادية ، سيما أن أغلب المتعلمين من طبقة الأغنياء ، ونذكر من الفلاسفة السفسطائيين جورجياس و كاليكيس وبروتاغوراس .....[45].

لذلك غير السوفسطائيون مفهوم الفلسفة من انشغالاتهم بالطبيعة إلى اهتمامهم بالإنسان من جانب اللغة و البلاغة و الخطابة و يعتبرون أول الواضعين الحقيقيين لعلم الخطابة .

" وقد كان السوفسطائيون يشتغلون بالتعليم ، فكانت غايتهم تعليم طلبتهم البلاغة والقدرة على الجدل حتى يستطيعوا مواجهة كل مسألة تعرض ، إما بفكرة صحيحة أو التلاعب بالألفاظ لإفحام الخصم أو السائل ، لذلك كان من أهم تعاليمهم علم البلاغة ، فهم يعلمون الشباب كيف يخدمون الفكرة ، و على أي وجه كان ، سواء بالحق أم بالباطل[46].

و قد عبر عليها " جورجياس gorgias " بقوله " الخطابة هي الفن الحقيقي و الأسلوب الصحيح في التفكير، كما أصبح الكلام عندهم فتانا و مخادعا بعد أن كان موحدا للحقيقة و مقدما

[45] المرجع نفسه الصفحة نفسها.

[46] الزاوي بغورة : الفلسفة و اللغة ، نقد المنعطف اللغوي في الفلسفة المعاصرة ، دار الطليعة ، بيروت ، ط1، 2005 ، ص 12.

للمعرفة وأصبح أيضا أداة ووسيلة إقناع و اقتناع ، تحملك على الاعتقاد و الظن بشتى الوسائل من دون أن تعير اهتماما للحق و الباطل [47] .

" كما كانوا يمارسون الحجاج للحصول على سلطة المجتمع و يعلمون الشباب الخطابة ويهنئونهم بذلك على السلطة و كانوا يتقاضون مالا كثيرا على ذلك ، فالسفسطائيين كان عمله التعليم كما قال بروتاغوراس : " أوافق على أني سفسطائي ووظيفتي هي تعليم الناس "[48].

- وقد وصف بعض اللغويين البلاغة السوفسطائية بقولهم : " ترعرعت البلاغة السوفسطائية في زمن انتشر فيه الإلحاد و التشكيك في الآلهة و السخرية من عبادتها ، و تمجيد الإبداع والميل إلى كل ما هو جديد ، و هذا الاعتقاد كان له تأثير واضح في الأبعاد الإيديولوجية لبلاغة السوفسطائيين ، حيث حررهم من القيود التي تعيق مجادلاتهم و مناظراتهم و طرائق حجاجهم ، لقد ظلت هذه البلاغة حاملة لذلك الحيوان الذي يمتلك سلطة النطق و مهابة الكلام ، و بقوة الكلام و سحره ، تتجسد حرية الفرد الذي يقتسم مع الآخرين اللغة نفسها ، لكنه يعبر عن فرديته و حريته في حضرة سلاسة الكلام لا في بهو اللغو ، و بهذه القوة التي يتم فيها الانتقال من اللغو إلى اللغة و من اللغة إلى الخطاب يتواصل الإنسان مع الآخر الذي هو من جنسه فيؤثر فيه ، بل يستطيع أن يغير أهواء ه و أفكاره و اقتناعه و حتى معتقداته ضمن شراكة جماعية[49] .

وهناك من يرى أن السوفسطائيين كانوا أول من أضفوا بعدا نظريا على سلطة الكلام و قوته ولهذا ستكون السيادة لمن يمتلك سحر البلاغة و فن الجدال و سلطة الحجاج و قوة الإقناع والتأثير[50].

---

[47] المرجع السابق ص 13.

[48] فريق البحثاني البلاغة و الحجاج : أهم نظريات الحجاج فالتقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ، إشراف حمادي صمود منشورات كلية للآداب منوبة ،1998، عن هشام الريفي : الحجاج عند أرسطو ، ص

[49] حافظ إسماعيلي : الحجاج مفهومه و مجالاته ، ص 319 .

[50] المرجع نفسه الصفحة نفسها.

لهذا كله كانت السوفسطائية تمثل مرحلة حاسمة في تاريخ الحضارة الإغريقية ولا سيما في القرن الخامس قبل الميلاد ، حيث كان السوفسطائي– معلم البلاغة – يتلقى مقابلا ماديا نظير تلقينه صناعة حسن صرف الكلام و المعارف الأخرى لمن يحرصون على طلبها .

" و قد شهدت أثينا في هذه الآونة تحولا اجتماعيا و تجاريا و صناعيا لافتا للانتباه بعد ما تجاوزت الطور القبلي القائم على الزراعة و الرعي عبر تطور التاريخ الاجتماعي للإغريق"[51] .

و عليه فيمكن القول : " أن البلاغة عند السوفسطائيين اليونانيين كانت فنا للجدل و السفسطة وتضليل الخصوم ، فاعتمدوا على الشك منهاجا للبلوغ إلى أهدافهم ، فاتخذوا البلاغة و سيلة للاكتساب و الارتزاق مقابل تعليم الناس فنون الخطابة و الجدل السياسي و فن الحوار و السخرية و التهكم ، ومن بين هؤلاء جورجياس و بروتاغوراس اللذان كان يدرسان أفراد المجتمع الأثيني في البلاغة بغية تأهيلهم لممارسة فن الخطابة و المناورة الحوارية و الارتجال الحجاجي والغرض من ذلك هو إفحام الخصوم ذهنيا ووجدانيا ، و التفوق عليهم في فن الخطابة و الجدل السياسي و القضائي[52].

" لكن هذا لا ينفي بعدهم الإيجابي " فإن الأفق الإقناعي الذي ميز بلاغة / خطابة السوفسطائيين لايمكن فصله عن انشغالاتهم السياسية و التعليمية ، فقد كانوا معنيين بتنشئة المواطن و تشكيل" الرأي العام " ضمن صراع المواقع و السلطة داخل المجتمع ،ولذلك قال: جورجياس في محاورة الشهيرة : " إن الخطابة هي الخير الأعلى حقا ، تمنح من يحذقها الحرية في نفسه ، و السيطرة على غيره من الناس في وطنه تحتضن في ذاتها السلط جميعا وتخضعها لهيمنتها "[53].

---

[51] المرجع السابق ص 320 .

[52] جميل حمداوي : من الحجاج إلى البلاغة الجديدة ، ص 66- 67 .

[53] عبد اللطيف عادل : بلاغة الإقناع في المناظرة ، منشورات ضفاف ، بيروت – لبنان ، ط1 1434 هـ، 20163م ،ص33 .

2- الحجاج عند أرسطو aristote:

أما أرسطو "فيعتبر الأب الحقيقي لعلم الخطابة ، فما يزال كتابه الخطابة الذي دشن ميلاد هذا العلم منذ أزيد من أربعة و عشرين قرنا منبع كل النظريات الخطابية المعاصرة ، بل ما يزال إلى اليوم موضوع تأويلات و ترجمات و تطبيقات و نزاعات بين علماء الخطابة ولعل الجزء الأهم الذي تعرض للإهمال هو ذلك المتعلق بالجوانب الباتوسية أو الذاتية في العمليات الإقناعية أو الحجاجية"[54].

و ينطلق أرسطو من كون الخطابة هي " الكشف عن الطرق الممكنة للإقناع "

و هذا الاقناع يتوقف عند أرسطو على ثلاثة أركان هي

أولا : " أخلاق القائل " و هو ما يمكن أن نسميه بحجة الإيتوسETHOS.

ثانيا : " تصيير السامع في حالة نفسية ما " و هو ما يمكن أن نسميه بحجة الباتوسPATHOS.

ثالثا : " القول نفسه من حيث هو يثبت أو يبدو أنه يثبت " و هو ما يمكن أن تنعته بحجة اللوغوسLOGOS، أي : الكلام / أو العقل[55].

هذه الأنواع الثلاثة يتناسب كل واحد منها مع نوع من أنواع الخَطابة ، وهي أيضا ثلاثة : الخُطبة المشورية و الخُطبة المشاجرية و الخُطبة التثبيتية .

فالخطبة المشورية : غايتها بيان النافع و الضار و التوصية باتباع أقوم المسالك و اجتناب أسوئها إلخ ، تناسبها حجة الإيتوس فعلى الخطيب في الخطبة المشورية أن يتزين بحسن الخلق فيما يتوجه به إلى السامعين حتى إن كان على غير ذلك الخلق في الواقع .

وأما الخطبة التثبيتية : التي قوامها المدح و الذم ، مدح الشريف و ذم الخسيس ، فتناسبها حجة الباتوس ، و الباتوس إنما هو مجمل الانفعالات و الأهواء و المشاعر التي ينبغي على الخطيب أن يثيرها في نفوس السامعين فيحقق بذلك الإقناع و هذا يقتضي من الخطيب أن يكون عالم نفس يعرف كيف يثير مشاعر جمهوره و من أين يأتيهم .

---

[54] حافظ إسماعيلي : الحجاج مفهومه و مجالاته ص 406.

[55] المرجع نفسه ص 29.

وأما الخطبة المشاجرية : التي غايتها بيان العدل و الظلم و قوامها الاتهام و الدفاع فتناسبها حجة اللوغوس ، أي الكلام نفسه [56]، لذلك يقول أرسطو " أما المشاجري فمنه اتهام و منه دفاع لأن الذين يتشاجرون إما أنهم يتهمون أو يدافعون " [57] .

يقول أرسطو " إن أنواع الحجج المميزة للخطاب ثلاثة أنواع : الأول يقوم على الخاصيات الأخلاقية للخطيب و الثاني يقوم على الأحوال النفسية للمستعين و الثالث على خاصيات الخطاب نفسه حينما يكون برهانيا أو يبدو أنه كذلك "[58].

و هو القائل كذلك " الخطابة هي نظير الجدل، إذ أن كليهما يعالج بعض المسائل المشتركة من بعض الزوايا بين كل الناس ، يمكنها أن تكون معروفة بدون الاستعانة بأي علم محدد وكذلك فإن كل الناس يمارسون ، إن قليلا أو كثيرا الجدل و الخطابة و كل الناس يحاولون في حدود معينة دعم و تنفيذ فكرة ما و الدفاع و الاتهام "[59].

يعتبر أرسطو من الأوائل اللذين نظروا للبلاغة من خلال رؤيا حجاجية ، و هذا ما يبينه في كتابيه الموسومين ب: " الريتوريكا / البلاغة " و " الحجج المشتركة " و المتتبع لكتابه البلاغة نجده يقسمه إلى ثلاثة أقسام : قسم يتعلق بمفهوم البلاغة و موضوعها و علاقتها بالجدل ، و القسم الآخر يتناول آلية التأثير على الآخر و نفسيته ، أما القسم الأخير فيتناول الأسلوب و أثره الفني والجمالي و الحجاجي .

إن البلاغة أكثر فاعلية في المجتمع ووسيلة ناجعة في التفعيل و الإثارة و الخوض في الجدل والمناقشة. [60]

إن الهدف من البلاغة هو الإقناع و الوصول إلى الحق عن طريق العدالة المعتمدة على الجدل و الاستدلال و البراهين.

---

[56] Giséline Mathieu- costauami . ca rbétorique .des passions .édpuf .paris 2000 p.61

[57] Aristos .rétorique.ed. livre de pohe. 1991. P.80

[58] حافظ إسماعيلي : الحجاج مفهومه و مجالاته ، ص 30.

[59] أرسطو طاليس: فن الخطابة ، ترجمة عن اليونانية و علق عليه و قدم له الدكتور عبد الرحمان بدوي ، طباعة و نشر دار الشؤون الثقافية العامة ، آفاق عربية ، بغداد ط2، 1986 ، ص 37.

[60] جميل حمداوي : من الحجاج إلى البلاغة الجديدة ، ص 24- 25 .

و هذا ما يبينه أرسطو في كتابه " البلاغة " حيث يربط الحجاج بالجوانب المتعلقة بالإقناع[61].

و نجد أرسطو يركز على أخلاق الخطيب لأنه المركز الرئيسي في العلاقة الحجاجية فالخطيب يقنع بالأخلاق إذا كان كلامه منطقيا ، لأننا نستشعر الثقة في كلامه ، فيكون الإقناع عن طريق ما يقوله المتكلم لا عن طريق ما يظنه الناس ، و هو بهذا يركز على شخصية الخطيب وخصائصها و هذا ما يجعله يشترط فالخطيب أن يكون قادرا على فهم الخلق الإنساني و الخير في مختلف أشكاله ، كما يجب عليه أي : " الخطيب " أن يكون قادرا أن يفهم الانفعالات و يعرف أسبابها وطرق استثارتها .

إن الإقناع يحدث عن الكلام نفسه إذا أثبتنا الحقيقة ، و ذلك بواسطة الحجج المقنعة و المناسبة للحال، و من يملك هذه الآلية فهو قادر على التفكير المنطقي[62].

و تأسيسا عما سبق ، يعد أرسطو المؤسس الحقيقي للبلاغة و منطق القيم و قد سبق عصره بآرائه البلاغية الرائدة في مجال الحجاج و الإقناع ، و إن كانت آثار أرسطو هي العمدة في

الأبحاث و الدراسات البلاغية من بعده ، إلا أنه يتبين في الجانب الذي نحن بصدد الحديث عنه هو الحجاج ، الذي قدم له مفهوما جعله قاسما مشتركا بين الخطابة و الجدل كما تقدم ذكره و أكد أرسطو وجود الحجاج في الخطابة كما في الجدل الذي يؤيده هذا القول :

" الحجاج مشترك بين الخطابة و الجدل ، فالحجاج في الجدل و مرتكزا ته في الخَطابة ، فهي مرتكزات عقلية خالصة في الجدل ، في حين تكون مرتكزات الحِجَاج في الخَطابة عاطفية بالأساس "[63].

بمعنى آخر إن الخطابة تعتمد الحجاج شأنها في ذلك شأن الجدل ، و هذه العلاقة بين الجدل والخطابة من ناحية نوع الحجج تجعلها (الخطابة Rhétorique) على حد تعبير أرسطو فرعا من الجدل كما يبرز الحجاج عبر مجموعة من الوسائل الآدائية ، فإما أن يتحقق عبر اللوغوس الذي

---

[61] ينظر محمد طرطوش : النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية و المنطقية و اللسانية ، دار الثقافية المغرب ، ط1 ،2005، ص 15

[62] حافظ إسماعيلي : الحجاج مفهومه و مجالاته ، ص 29 – 30 .

[63] سامية الدريدي : الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة بنيته و أساليبه ط1 ، عالم الكتب و الحديث للنشر و التوزيع ، الأردن 2008 ص 18.

يعني الكلام الحجج و الأدلة ، و إما يتحقق عبر الإيتوس الذي يتمثل في مجموعة من القيم الأخلاقية والفضائل العليا و التي يتحلى بها الخطيب و إما أن تتجسد في الباتوس الذي يتعلق بالمخاطب ويكون في شكل أهواء و انفعالات .

" كما ميز أرسطو كذلك بين ثلاث خطابات بلاغية : أولا خطاب قضائي يهدف إلى معرفة الحقيقة بغية تحقيق العدالة ، و ثانيا الخطاب الاستشاري الذي يتخذ طابعا سياسيا ، و هدفه تحقيق الخير للصالح العام و يستعين حجاجيا بالأمثلة ، و الثالث : الخطاب البرهاني القائم على مدح الآخر أو ذمه ، و الهدف منه تثبيت الجمال أو الدفاع عن فضيلة أو قيمة أخلاقية عُلْيَا ما "[64].

3- الحجاج عند أفلاطون :

رفض أفلاطون تصورات السوفسطائيين الجدلية ، لأنها مبنية على الخداع و التشكيك وتضليل الناس ، و من هنا فقط ميز بين بلاغتين ، بلاغة سفسطائية واهمة و نسبية ، وخادعة وغير حقيقية و بلاغة فلسفية حقيقية موضوعها إثبات الحق ، و تفنيد الخطأ ، أي : إن موضوع البلاغة هو الحق ، و هدفها إظهار الحقيقة المطلقة المثالية عن طريق العقل و الحجاج و الحوار كما يتبين ذلك جليا في محاورتي (جورجياس) و (فيدر) ، و يذهب أفلاطون إلى أن البلاغة الفلسفية بمثابة جدال حواري عقلاني ، هدفها استكشاف الحق المطلق في حين ترتكز البلاغة السوفسطائية على الشك و الوهم و النسبي المتغير[65].

" كما عبر أفلاطون مرارا ، عن استهجانه لهذا الفكر ، الذي لا يرى و لا يعترف للفكر بأي مرسى موضوعي و ثابت للفكر"[66] .

و قد سعى سعيا حثيثا إلى محاربة كل أشكال التوظيف السلبي للملكة الخطابية (البلاغة Rhétorique) و لتقنياتها المتنوعة و تخليص الخطابة من قبضة السوفسطائيين ، والحرص على

[64] جميل حمداوي : من الحجاج إلى البلاغة الجديدة ، ص69 .

[65] المرجع نفسه ص 30 .

[66] حافظ إسماعيلي : الحجاج مفهومه و مجالاته ، ص 402.

تنقيتها مما علق من تصوراتهم الباطلة ، وممارساتهم المنحرفة إنه بذلك يؤكد دعوة أستاذه سقراط إلى ضرورة تخليق الخطابة و استعمالها فقط للأغراض النبيلة و الأهداف السامية "[67]

هذا و إن دل يدل على ممارسة أفلاطون الحجاج من خلال الصراع الذي دار بينه و بين زعماء السوفسطائيين أمثال : " بروتاغوراس و جورجياس و هيبياس " الذي يعتبر ان الحجاج الخطابي هدفه إظهار الحق و الوصول إلى الحقيقة و الصدق على عكس الحجاج السوفسطائي الذي يعتبره حجاجا مخادعا لا أساس له من الصحة .

لكن أفلاطون اهتم بالحجاج الأخلاقي (المثالي) الموجود في عالم المثل الذي استمد فلسفته المثالية التي تعتبر أن عالم المثل هو الأصل الثابت و أن كل منا هو حسي مادي زائف يفتقر إلى الحقيقة المطلقة، و هذا ما أنكره عليه تلميذه أرسطو و نقده عليه.

ويؤكد أرسطو أن العالم الحقيقي هو العالم الواقع المادي ، أما العالم المثالي فهو غير موجود وأن الحقيقة لا توجد إلا في العالم الذي نعيش فيه .

بالمقابل فإن السوفسطائيين قد اعتبروا أن المعرفة تترتب عن الإدراكات الحسية ، ومن ثم فهي تختلف باختلاف الأشخاص ، بينما أفلاطون يعتبر بأن العقل هو وسيلة المعرفة ، و هو الضامن للعلم الصحيح.

و من هنا يتضح أن موضوع العقل هو " المثل " أي الحقائق المطلقة ، و حسب أفلاطون لا ينجز العلم بالحقائق إلا الفلاسفة ، لأن الحكمة من شأنهم ، و ما داموا المؤهلين وحدهم للتفكير السليم فهم الأعرف بمسالك قيادة الأفراد نحو الخير و السعادة ، و قيادة الدولة نحو العدالة مادامت الحقيقة ثابتة و أبدية وواحدة.

[67] المرجع نفسه ص 8 –9 .

المبحث الثاني :الحِجاج عند الغَرْب و العَرَب حديثا

1-الحجاج عند الغرب حديثا :

1-1 - مفهوم الحجاج عند بيرلمان و تيتيكا :

قبل تحديد الحجاج عند بيرلمان Perlman و تيتيكا Tyteca كان حتما علينا الوقوف عند البلاغة الجديدة Nouvelle rhétorique وتطوراتها " لما كان الحجاج مرتبطا في التراث اليوناني بالمباحث الفلسفية فقد عاد الاهتمام به منذ العقد السادس من القرن العشرين في إطار فلسفي مع ظهور كتابين أحدهما لشاييم بيرلمان ، والآخر لتولمين و منذ ظهور هذين الكتابين ما انفك الاهتمام بهذا المفهوم يتزايد و المصنفات المتصلة به تتكاثر، بل صارت هذه الدراسات تتقصى مظاهر الحجاج في أبسط تجليات التفاعل التحادثي "[68] .

وقد عرفت البلاغة Rhétorique منذ النصف الثاني من القرن العشرين انتعاشه قوية بسبب ثورة الاتصالات المرئية و المسموعة و حاجة النظام الرأسمالي إلى خلق مجتمع استهلاكي وذلك بالتحكم في أذواق الناس و إغوائهم بالإقبال على السلعة بواسطة الإشهار و بلاغة الصور فأصبحنا هكذا نعيش عصر خطابة جديدة لا بالمعنى التقني الضيق ، و إنما بالمعنى الواسع العميق المشير إلى مختلف التيارات المتفاعلة فيه و المتصارعة .

و هكذا ظهر باحثان في مجال الفلسفة من مدرسة بروكسل البلجيكية سنة 1958م و هما : شاييم بيرلمان ، وأولبريخت تيتيكا إذ ألفا في هذه السنة كتابهم الموسوم ب مصنف في الحجاج البلاغة الجديدة- (traité de l’argumentation : la nouvelle rhétorique)، و أعيد طبعه عدة مرات .....، وغاية هذا الكتاب هي إعادة الاعتبار لمجال الحجاج[69] ،كما قاما بإخراجه من دائرة الخطابة و الجدل الذي بقي مرادفا للمنطق نفسه لعقود طويلة ، وذلك بتبرئته من ناحية الخطابة بتهمة المناورة و المغالطة و التلاعب بعواطف الجمهور و عقله أيضا و تخليصه كذلك من صرامة الاستدلال الذي يجعل المخاطب به في وضع ضرورة و خضوع واستلاب ، فالحجاج

[68] كريستيان بلانتان ، الحجاج ص 07

[69] حافظ اسماعيلي ، الحجاج مفهومه و مجالاته ص 855.

عندهما حوار يسعى إلى إحداث اتفاق بين الأطراف المتجاورة في جو من الحرية والمعقولية : أي التسليم برأي الآخر بعيدا الاعتباطية و اللامعقول اللذين يطبعان الخطابة عادة وبعيدا عن الالتزام و الاضطرار اللذين يطبعان الجدل.[70]

وصف بيرلمان و تيتيكا في مصنفهما "في الحجاج" أو "البلاغة الجديدة Nouvelle rhétorique " يقتضي وجود بلاغة قديمة و هذه البلاغة القديمة هي بلاغة أرسطو أو (خطابة أرسطو) من ناحية والبلاغة الأوروبية السائدة في القرن التاسع عشر و ما قبله من ناحية أخرى .

و لقد قامت بلاغات القرن العشرين في مجملها على بعث بلاغة أرسطو في حلة جديدة بحيث أصبح في القرن العشرين على نحو ما يرى "ميشيل ماير Michel meyer " ثلاثة اتجاهات بلاغية كل واحد منها يشدد على نوع من أنواع هذه الحجج أو الوسائل و ذلك على النحو التالي الذي يمثله الجدول الآتي :[71]

وسيلة الإقناع / أنواع الحجج	الإيتوس Ethos	الوغوس Logos	الباتوس Pathos
بلاغة Rhétorique	بورك Burke (1950)	ديكرو (1972)	ريدشاردز (1936)
		فريق مو (1970)	البلاغة الأمريكية ويفرWeaver (1950)
حجاج Argumentation	همبرماس (1986)	بيرلمان (1958)	كادمارGadamer(1960)
	نظرية التواصل وأعمال اللغة سورل (1969)	تولمين (1958)	و الهرمينوطيقا نظرية التلقي آيزر (1976- 1977)

[70] المرجع السابق ص 855 –856 .

[71] المرجع نفسه ص 74.

" يبدو العمود الأوسط عمود اللوقوس أكثر الأعمدة جدة من حيث إلحاحه على الكلام ، و جعله إياه في صدارة الحجاج أو البلاغة و هو ما يقر به لروح القرن العشرين الذي جعل اللغة من أهم قضاياه .

فعلى عكس العمودين الآخرين حيث الإلحاح على الإيتوس Ethos مرة و على الباتوس Pathos مرة أخرى على نحو ما يشبه كثيرا بلاغة أرسطو ، كانت بلاغة بيرلمان تشدد على الكلام في حد ذاته أي على الحجة نفسها .

و من وجوه الجدة في بلاغة بيرلمان بالقياس إلى بلاغة أرسطو أنها و إن كانت بعثا لها تختلف عنها من حيث المتلقي ، فمتلقي تلك البلاغة أو الخطابة ربما كان جاهلا عجلان غير متروّ و أما بلاغة بيرلمان الجديدة فموجهة إلى الفكر ، كما لا يقتصر على ما هو شفوي من النصوص بل يتعداه إلى أن تكون كتابية أساسا[72].

" هذه بعض وجوه الحدة في بلاغة بيرلمان بالقياس إلى بلاغة اليونان ، أما حدتها بالقياس إلى القرن التاسع عشر و ما سبقه فتتمثل في كون تلك البلاغات ، إذ ركزت درسها على جانب وحيد هو العبارة " Expression " ، قصرت دورها على دراسة الوظيفة الجمالية التزويقية في الكلام واعتبرت البلاغة كما يقول بيرلمان نفسه " مجرد دراسة لوسائل التعبير المنمقة و الممتعة "[73].

و الغرض من الحجاج هو الإقناع و التأثير و التداول و التواصل و التخاطب، ومن ثم فالحجاج فعالية تداولية جدلية دينامنيكية فعالة تستلزم وجود أطراف تواصلية بينها قواسم حجاجية مشتركة إذ يمتلك المرسل الخطيب مؤهلات معرفية و أخلاقية كفائية و يستعمل في حجاجه اللوغوس الاستدلالي بغية إقناع الآخر و لو باستعمال خطاب الأهواء و الانفعالات و لا يعتمد الحجاج عند بيرلمان على العنف أو التضليل أو التوهيم ، بل غرضه بناء الحقيقة عن طريق الحوار البناء والاستدلال الذي قد يكون ذهنيا و انفعاليا "[74].

---

[72] المرجع نفسه ص 74 ، 75.

[73] المرجع نفسه ص 76.

[74] جميل حمداوي من الحجاج إلى البلاغة الجديدة ، ص 28.

" قد حدد بيرلمان و تيتيكا آراء أرسطو حينما حاولا ان يعيدا للبلاغة طابعها الفلسفي الحقيقي لأن البلاغة الأرسطية تحصر البلاغة في الإقناع ، فتعدها خطابا حجاجيا بامتياز ، وقد استبعدا تصورات أفلاطون و السوفسطائيين لأنها تقوم على الجدل ، و السفسطة ، و التشكيك و المنهج المغالطي ، و المناورة الواهمة ، و اعتماد المثل العليا المطلقة "[75] ، و يعني هذا أن البلاغة في طابعها العام مرتبطة بالمقصدية الحجاجية .

ومن هنا فالمقصود بالبلاغة الجديدة تلك البلاغة الحجاجية التي تتعارض مع بلاغة الصور الفنية و المحسنات البديعية ، وز يمكن اعتبارها أيضا بلاغة أرسطية جديدة ، ما دام بيرلمان وتيتيكا قد اشتغلا على القضايا الحجاجية نفسها ، لكن في ضوء رؤية جديدة[76].

و قد ارتبطت هذه البلاغة الجديدة بالحجاج ارتباطا و ثيقا ، فاستعملت تقنيات البلاغة في عملية الإفهام و الإقناع .

و قد توسع الحجاج عند بيرلمان الذي يرى " أن الحجاج بمثابة محاولة لتقييد السامع بأطروحة معينة و التركيز على طريقة التفكير و الرؤية و الإحساس ، مما يجعل هذا التعريف الموسع أقرب إلى فن البلاغة المرتبط بفن التأثير و الإقناع ، فيشمل هذا الحجاج جميع الخطابات التي يحضر فيها الغير خاص أو عام واقعا أم افتراضيا ، و بالضبط في خطابات كل من : علم اللغة ، و علم النفس ، وعلم النفس الاجتماعي "[77] و من ثم فالحجاج و دوره البلاغي هو أساس نظريته الجديدة.

[75] المرجع السابق ص 29.
[76] المرجع نفسه ص 29.
[77] المرجع نفسه ص 47 .

لقد وضع بيرلمان البلاغة في صلب مجالات الحجاج ، إذ قام في بداية الأمر بصياغة تعارض بين ما هو منطقي و ما هو حجاجي بسبب الشكل الآتي:[78]

المنطق Logique	الحجاج Argumentation
- لا يسمح بأي غموض أو لبس - قاعدته الأساسية هي : المحافظة على نفس المعنى في مختلف أشكاله (لا يقبل التناقص) - مستقل عن الأفراد (لا يخاطب شخصا بعينه ، إنه موجه للجميع) مما يترتب عليه فقر اللغة الصورية و صرامتها (يجب أن يكون كل شيء محددا : الأولويات ، القواعد ، مجال المتغيرات .....)	- صنع الأوضاع الواقعية لاستعمال اللغة . - لا تعطى المعلومات كلها . - لا تعطى القواعد التي تتم بموجبها معالجة المعلومات . - اللبس أو الغموض ، و هذا الغموض يسمح بغنى و مرونة اللغة الطبيعية .

نستنتج مما تقدم أنه لا يوجد خطاب بدون مخاطب (حتى الخطاب المنطقي يتوجه إلى مخاطبين لكن هؤلاء ملزمون بالخضوع إلى صرامة اللغة المنطقية و قواعدها).

إننا إذن لا نستعمل الحجاج إلا عندما تكون البواعث او الأسباب غير متسلسلة وفقا للصرامة المطلقة التي يقتضيه الاستدلال المنطقي الرياضي ، و بالتالي عندما تكون إمكانية للاختلاف والتعارض .

إن الحجاج إذن : ذو الأثر البلاغي يهدف إلى الاستمالة و الإقناع ، و الدفع إلى القبول .

ومن أهم أفكار بيرلمان أنه يعتبر الإقناع الوظيفة الاساسية للبلاغة و ليس التأثير ، و في هذا

[78] حافظ إسماعيلي ، الحجاج مفهومه و مجالاته ص 673 ، 674.

السياق يقول بيرلمان : " نقصد بالحجاج المؤثر ذلك المتوجه إلى مستمع خاص ، و بالإقناعي المصوب نحو كائن عاقل ، فالفرق دقيق ، و رهين بمفهوم الخطيب للعقل أساسا "[79].

ومن أفكاره الأخرى أن الصور البلاغية ليست صورا فنية و جمالية و تزيينية وظيفتها الإمتاع فقط كما هو السائد في البلاغة التقليدية ، بل هي من طبيعة حجاجية و إقناعية بامتياز ، و يترتب هذا أن الاستعارة حجاجية و إقناعية ليس إلا ، و في هذا الإطار يقول بيرلمان : " تعتبر الصورة حجاجية ذات منظور مغاير إذا بدا استعمالها مألوفا بالنسبة لوضعها الجديد المفترض ، أما إذا لم يهدف الخطاب إلى استجلاب موافقة المستمع لهذه الصيغة الحجاجية ، فإن الصورة ستصبح محسنا بديعيا لا تعدو أن تغدوا بعث إعجاب أو مصدر استحسان الخطيب "[80] .

و أكثر من هذا فقد تصبح الصور البلاغية و المحسنات البديعية من التقنيات الحجاجية التي تستخدم في الخطاب الحجاجي لإقناع الغير أو لاستجلاب موافقته و رضاه .

" هذا و يعد الحجاج عملية تفاعلية تقوم على مجموعة من العناصر هي : المرسل و الرسالة و السامع و يعد الغير السامع أهم من المتكلم الخطيب ، لأن الهدف من الرسالة التواصلية هو إقناع الآخر و محاججته برهانيا و عقلانيا عبر مجموعة من المسارات الحجاجية للوصول إلى الحقيقة و الحل الرابح و استكشاف ردود فعل المخاطب تجاه الحجاج "[81].

وقد وسع بيرلمان مجال البلاغة أكثر مما كان عليه الأمر لدى أرسطو الذي اقتصرت البلاغة عنده على الخطاب الشفهي الموجه إلى الجمـهور ، فالبـــلاغة في شكلها الجديد لدى بيرلمان أصبحت تشمل كل الخطابات الموجهة إلى كل أنواع المستمعين سواء تعلق الأمر بجمهور مجتمع في ساحة عمومية أم تعلق باجتماع المختصـــين أم بشخص واحد أم بكل الإنسانية .

يقول بيرلمان في هذا الصدد " إننا لا نعتقد عكس ما ذهب إليه أفلاطون و أرسطو وكينتليان وهم يحاولون أن يعثروا في البلاغة على استدلالات على شاكلة استدلالات المنطق أن البلاغة

---

[79] ChaïmPerlman et LucieOlbrechts. Tyteca : traité de l'argumentation ; la nouvelle rhétorique, presses universitaires de France . Paris 1958, p 36.

[80] جميل حمداوي من الحجاج إلى البلاغة الجديدة ، ص 31 .

[81] المرجع نفسه ص 31 .

هي مجرد شيء زائد و أقل يقينية ، و أنها لا تتوجه إلا إلى السدج و الجهلة ، إن هناك مجالات للحجاج الديني ، و الحجاج التربوي ، و الأخلاقي ، و الفني ، و الفلسفي و القانوني ، حيث الحجاج هو بالضرورة بلاغي "[82] .

فالحجاج في تصور بيرلمان و تيتيكا ألا يقتصر على ماهو شفهي ، بل يتجاوز ذلك إلى كل أنواع الخطابات المكتوبة التي تسعى إلى إقناع الآخر ، حيث وسعا من مدلول المستمع ، و إذا كانت البلاغة القديمة تحصره في الحشد الملتئم وسط الساحة العمومية فإن جمهور الحجاج يمكن أن يكون عاما حاضرا أو غائبا .

كما طابق بيرلمان بين البلاغة و الحجاج ، معتبرا كل المكونات الأسلوبية الموجودة في رسالة ما (مكتوبة أو مقروءة أو مشاهدة أو حتى إشارية) هي عبارة عن مستويات معينة من مستويات الحجاج ، بما في ذلك التضمين و الشواهد ، حتى السخرية و المفارقة هي عبارة عــن "حجة في ذاتها و كذلك الاستعارة ، إنها استدلال قائم على المقايسة المكثفة ، و بالمثل فالبلاغة لم تعد لباسا خارجيا للحجاج ، بل إنها لتنتمي إلى بنيته الخاصة " [83] .

يعرف بيرلمان Perelman: الحجاج بقوله " هو مجموع تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تبعث على إذعان المتلقين للقضايا التي نعرضها عليهم أو أن تزيد في درجات هذا الإذعان"[84]

و يقول في موضع آخر "غاية الحجاج التأثير في الإنسان ان يجد نفسه مدفوعا إلى لعمـــــل أو مهيأ لإنجاز عمل محتمل"[85]

يعني كلام بيرلمان أن الحجاج له من ناحية غاية تصديقية ، و له من ناحية أخرى غاية إيقاعية / إنشائية على أن هذا لا يعني أن لا تكون الجملة في الخطاب تحتمل الحمل على التصديق والعمل معا ، أحدهما يؤدي إلى الآخر .

---

[82] PerelmanChaïm : rhétorique , éd . université de Bruxelles, 1989 ,p 99

[83] حافظ إسماعيلي : الحجاج مفهومه و مجالاته ، ص 495 .

[84] Chaïm Perelman et l'olbrechts. Tyteca : traité de'argumentation in l'argumentation presses université, de Lyon. 1981, p 92.

[85] المرجع نفسه الصفحة نفسها .

- يرى بيرلمان أن الحجاج : " يغطي حقل الخطاب بكامله و يهدف إلى الإقناع و الاستمالة وذلك كيفما كان نوع المخاطبين و مهما كانت مادة ذلك الخطاب و بالتالي يصير الإقناع والاستمالة بمثابة ثمرة العلاقة القائمة بين الضمني و المصرح به ، تلك العلاقة التي يسميها البعض بالتداولية أو الحجاج "[86].

ومما سبق نستنتج أن بيرلمان قد حدد أول منظور للبلاغة ، كوسيلة من وسائل الإقناع ، أي : كضرب من الحجاج أو كصيغة من صيغه .

وعرف بيرلمان و تيتيكا كذلك الحجاج بقولهما : " غاية كل حجاج أن يجعل العقول تذعن لما يطرح عليها من آراء أو تزيد في درجة ذلك الإذعان ، فأنجح الحجاج ما وفق في جعل حدة الإذعان تقوي درجتها للسامعين بشكل يبعثهم على العمل المطلوب أو يجعلهم يمسكون عنه أو هو ما وفق على الأقل في أن يجعل السامعين مهيئين لإنجاز ذلك العمل في اللحظة المناسبة "[87]

و يقولان أيضا : " موضوع نظرية الحجاج درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تجعل العقول تسلم بما يعرض عليها من أطروحات أو تزيد في درجة ذلك التسليم "[88]

يظهر من الشاهدين أو التعريفين أن البلاغة الجديدة (نظرية الحجاج) لبيرلمان و تيتيكا ارتكازها على العقل (إذعان العقول) و الكلام (تقنيات الخطاب).

و يقولان أيضا " إن الحجاج جملة التقنيات الخطابية التي تمكن مستعمليها من إثارة الإعتقاد أو ترسيخه في العقول من خلال اطروحات مقدمة و أقوال معروضة "

إن في هذا الحد دعوة صريحة إلى تكيف الحجاج مع جمهوره حتى يحدث التأثير و تحصل النجاعة في القول المقدم ، و حتى تصيب تلك الأطروحات أعماقا صامّة تضاعف اعتقادها أو تعدل بها عن جهتها إلى زعم آخر [89] .

---

[86] حافظ اسماعيلي: الحجاج مفهومه و مجالاته ص672 – 673 .
[87] المرجع نفسه ، ص 32 .
[88] المرجع نفسه ، ص 33 .
[89] المرجع نفسه ص 529 .

كما أن بيرلمان لم يكتف بحد الحجاج و حسب بل سن له جملة من الشروط يكون دونها معدوما و هذه الشروط يمكن جمعها في النقاط التالية :

- أن يحصل ضرب من التفاعل و الالتقاء الثقافي بين الحجاج و المحجوج ، و هو ما ينتج عنه إيلاء أهمية معتبرة إلى الظروف النفسية و الاجتماعية التي دونها يصبح الحجاج خلوا من الموضوع و الاثر على السواء .
- الحجاج ليس استدلالا تعليليا يدور في حقل البرهان المنطقي المحض و خارج كل اندراج للذات ، بل يطلب امرا آخر معاكسا لذلك تماما و هو وجود العلاقة التفاعلية بين الباث والمتقبل[90].

الحجاج هو البلاغة أو حاضن للبلاغة بكل عروضها و تجلياتها فهو على هذا أوسع من البلاغة ، لأن جل مباحثها داخلة في الحجاج إما بوصفها وسائل أو عوامل أو روابط أو غير ذلك بجامع الوظيفة التي يقوم بها في الخطاب و الغاية التي يسعى إلى تحقيقها .

وغاية الحجاج عندهما حدداه بقولهما : " تهدف نظرية الحجاج إلى دراسة التقنيات الخطابية الهادفة إلى إثارة الأذهان و إدماجها في الأطروحة المقدمة و تفحص أيضا شروط انطلاق الحجاج أو نموه و ما ينتج عنها من آثار " [91]

" واعتبر الحجاج مظهرا من مظاهر القوة الباطنية (أي الكلام) إنه الحركة التي يسعى من خلالها دائما إلى تغيير احوال الأمور التي كانت قائمة " [92] .

و لقد قسما أيضا الحجاج حسب المتلقين (السامعين) و أدرجاه في مستويين حجاجيـــــن " أولهما الحجاج الإقناعي ، و ثانيهما الحجاج الإقتناعي ، الأول هدفه إقناع الجمهور الخاص حيث لا يتحقق إلا بمخاطبة الخيال و العاطفة ، ومن ثم فهو يضيف هامش فرصة العقل

---

[90] المرجع نفسه ص 529 .

[91] Perehmen / tyteca traité de l'argumentation, 5émé Edition, Editions l'université de bruxelles'1992- p 5.

[92] محمد طروش : النظرية الحجاجية ص 44

وحرية الاختيار ، في حين أن الاقتناع الذي هو هدف الحجاج يقوم على الحرية و العقلنة ومن هنا يكون الاعتراف بالآخر ، وجودا و تصورا ، ومن أهم شروط الحجاج[93] .

- **ملامح الحجاج عند بيرلمان :**

يتميز الحجاج في تصور بيرلمان و زميله بخمسة ملامح رئيسية :

1- أن يتوجه إلى مستمع : فلا بد من توجيه الخطاب إلى السامع ، لأنه هو السبب الفعلي الذي لولاه لما كان حجاج أصلا ، فهو يسهم بصفة فعلية في تشكيل المعالم الكبرى للمادة الحجاجية المقدمة من قبل الخطيب .

2- أن يعبر عنه بلغة طبيعية : هذه اللغة تكون مفهومة عند السامع (الجمهور) غير غامضة حتى يحدث التواصل و تصل الرسالة كما أراد الخطيب فهي جزء مهم في العملية الحجاجية بين الخطيب و السامع .

3- مسلماته لا تعدو أن تكون احتمالية .

4- لا يفتقر تقدمة– تناهيه– إلى ضرورة منطقية بمعنى الكلمة

5- ليست نتائجه ملزمة .

فهو إذا عبارة عن تصور معين عن قراءة الواقع إعتمادا على بعض المعطيات الخاصة بكل من المحاجج و المقام الذي ينجب هذا الخطاب .

و يعني بذلك أن الحجاج عُرضة للتغيُّر و التحوير في بناءه ، و أنساقه التي يقوم عليها وذلك تبعا لتغير المقام و تغير ظروف المحاجج حتى و إن ظل موضوع النقاش هو ذاته.[94]

- **منطلقات الحجاج عند بيرلمان و تيتيكا:**

يرى بيرلمان أن مقدمات الحجاج التي تؤسس نقاط الانطلاق للحجاج ،و يتبين ذلك بقولهمـــا: "إن نقطة انطلاق الاستدلال و هي مقدمات المقدمات المتعلقة بالقضايا التي منها يكون الانطلاق

[93] حافظ اسماعيلي ، الحجاج مفهومه و مجالاته ص 500.
[94] حافظ اسماعيلي ، الحجاج مفهومه و مجالاته ص 495 .

في الحجاج ، وهذه المقدمات مهما تباينت أشكالها يستند على أساسها المتكلم إلى الحس المشترك لمجموعة لسانية معينة ، فهو جماع معتقداتها و مناط موافقتها ، بل وموافقة كل عاقل والمحاجة في هذه الحال موجهة للإنسان عامة "[95].

و قالا أيضا : " إن لكل عصر و لكل مكان مواضعهما و معانيهما ، و لكل اختصاص علمي أو تقني او قانوني او غيرهما مواصفات تكون بينهم و تكون لهم لغتهم الخاصة و حدودهم وتعريفاتهم الخاصة أيضا ما يجعلهم يشكلون جمهورا خاصا لأفراده فيما بينهم طرائق في الحجاج خاصة تعتمد مقدمات و موافقات مخصوصة "[96] .

و من أهم هذه المقدمات لهذه المنطلقات ما يلي :

1- الوقائع :بما أنها ثابتة لا شك فيها فإنها تصلح لتأسيس نقطة البداية ، وهي كما يقول بيرلمان:

" المقولات الواقعية التي لا يختلف اثنان في وقوعها ، و تمثل ما هو مشترك بين عدة أشخاص أو بين جميع الناس ، و تنقسم إلى وقائع مشاهدة معاينة من ناحية ، ووقائع مفترضة من ناحية أخرى و التسليم بالواقع من قبل الفرد ليس إلا من قبيل التجاوب مع ما يفرض نفسه على جميع الخلق ، إذ يقتضي الواقع إجماعا كونيا ، هذه الوقائع لا تكون عرضة للدحض أو الريبة ، و هي انطلاقا من ذلك تعد نقطة جد هامة في الحجاج "[97].

2- الحقائق : يعمد إليها الخطيب ، للربط بينها و بين الواقع ليمنح حجاجه بداية قوية نافذة وبعبارة أخرى هي حقائق فعلية لا يشك المتخاطبون في ثبوتها المرجعية و تضمينها في النص ، ذو طابع حجاجي " إن هذه الحقائق معلومة لدى الجميع و قد يقع اعتمادها للبرهنة على غير المعلوم ، فقد يعمد الخطيب أو المرسل إلى الربط بين الوقائع و الحقائق ليحقق موافقة الجمهور على واقعة معينة غير معلومة "[98] .

---

[95] عبد الله صولة : الحجاج أطره و منطلقاته ، تقنياته من خلال مصنف في الحجاج – البلاغة الجديدة ضمن حمادي صمود : أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من ارسطو إلى اليوم كلية الآداب . منوبة - تونس ،1998 ، ص 308 .

[96] المرجع نفسه ص 313 .

[97] محمد سالم ولد محمد الأمين : مفهوم الحجاج عند بيرلمان و تطوره في البلاغة المعاصرة عالم الفكر ، الكويت ، المجلد ، الثامن والعشرون ، العدد الثالث ، يناير / مارس 2000م ، ص 89 .

[98] المرجع نفسه ص 89 .

3- القيم Les valeurs : هي عنصر أساسي من عناصر الحجاج ، و لها دورا بارزا في مجال العلوم الإنسانية إذ عليها يعتمد في تغيير مواقع السامعين و دفعهم إلى الفعل المطلوب .

إذ يقولان : " هي عناصر حجاجية من جهة ، و موضع اتفاق و تسليم من جهة أخرى و يقوم الباث باستدعائها ليحمل المخاطب على القيام بأفعال جدل أخرى ، و ليبرر تلك الافعال بطريقة تجعلها مقبولة و مؤيدة من طرف الآخرين " [99] .

و القيم نوعان : مجردة كالعدل و الشجاعة و محسوسة كالوطن و أماكن العبادة ، و لها دور فعال في بناء الثقة بين المتحاورين و بالتالي تشكيل الحقيقة المطلوبة على الوجه الذي يريده المحاجج.

4- المواضع : تعتبر أعم و أشمل من كل العناصر السابقة ، فمنها المشترك كمفهومي " الأقل " و " الاكثر" اللذين يصح تطبيقهما على عدة علوم و أجناس قولية ، و مواضع خاصة تكون مقتصرة على علم أو جنس بعينه ، وبعبارة أخرى ، هي مسائل تتسم بالعمومية و تلتقي في الإطار العام مع القوانين ، و تقوم بإنتاج المقدمات الجدلية و هي محددة للخصائص الفكرية و الاجتماعية للأمم ، و هي من المنطلقات التي يتم توظيفها من طرف الباث مجلبة للتصديق و هي على أقسام :

أ)- مواضع الكم Les lieus de quantité : و هي التي نستطيع بواسطتها أن نثبت أن أمرا أفضل من آخر انطلاقا من معايير كمية كقولنا الكل أفضل من الجزء أو العفة أفضل من الشجاعة ، لأن العفة نافعة على الدوام في حين أن الشجاعة محصورة في أوقات معينة تكون نافعة فيها .

ب)- مواضع الكيف Les lieus de qualité : و تكمن خاصيتها الحجاجية في وحدتها الشكلية في مواجهة الجمع مثل : موضع " الحق " في ذاته الذي يباين كل ما عداه من باطل [100] يعني هذا أن مواضع الكيف تتصف بالوحدانية و الثبات " الحق يظهر حتما " .

---

[99] المرجع نفسه ص 99 .

[100] حافظ إسماعيلي ، الحجاج مفهومه و مجالاته ص 505 .

ج)- مواضع الترتيب Les lieus d'ordre : و التي تقر أفضلية السابق على اللاحق مثلا: " أبو بكر أفضل من أبي هريرة " بحكم أسبقيته في الإسلام .

د)- مواضع الموجود: و تعني بأفضلية الواقع على المحتمل الوقوع مثلا: لا تترك ما في يدك و تنتظر ما في الغيب .

5- الافتراضات Pruseposition: هي أحكام قبلية أو آراء متصورة سلفا ، و تكون موضع موافقة عامة إلا أن التجاوب معها لا يصل حدوده القصوى إلا إذا قواها المسار الحجاجي والافتراضات تتحدد بالقياس إلى العادي أو المحتمل ، و هما قيمتان تتغيران بتغير الحالات والأوضاع[101].

6- الهرميات Hiérarchique : إن القيم درجات و مراتب ، مما يعني خضوعها للهرمية والتراتب ، فالعدل مثلا : قد يعتبر أفضل من قيم أخرى نبيلة ، و لذلك فالترتيب استعمال حجاجي علمي للقيم[102].

تمثل هذه المقدمات الست التي حددها بيرلمان و تيتيكا ، الشروط الأساسية لإقامة الحجاج و بناء مساره .

و لقد نبه بيرلمان و زميله إلى أن جل العناصر الأسلوبية من نفي و شرط و تأكيد و عناصر بلاغية – بديعية و بيانية و معنوية – و أدوات ربط وعطف ....الخ ، كلها تعتبر موجهات تعبيرية ذات دور حجاجي كبير .

و قد قسم المؤلفان هذه الموجهات إلى عدة أنواع أهمها : التوجيه الإثباتي الذي يصلح استخدامه لكل حجاج ، وهناك الموجه الإلزامي ، الذي يصاغ غالبا في الأسلوب الأمري ، و الشحنة

الحجاجية لهذا الاسلوب تنبع من مكانة المحاجج الآمر ، و هناك الموجه الاستفهامي ، و شحنته الحجاجية تنبع من مُديْ عمق السؤال المطروح و ذكائه من جهة ، و الجواب المنتظر من جهة أخرى[103].

---

101 عبد اللطيف عادل : بلاغة الإقناع في المناظرة ، ص 87 .

102 عبد اللطيف عادل : بلاغة الإقناع في المناظرة ، منشورات ضفاف ، دار الامان ، الرباط ، ط1 ، 1434 هـ - 2013 م . ص 27

إن نظرية الحجاج التي يتبناها بيرلمان و تيتيكا عقدت صلات واسعة مع مباحث علم النفس التي تحكم السلوكين الفردي و الجماعي في تفاعلهما مع الخطابات ، و لذلك أولى مصنفهما أهمية للأطر النفسية والاجتماعية ، و دورها في تحقيق التأثير الفعال للخطاب ، يقولان : " ليس الحجاج في النهاية سوى دراسة لطبيعة العقول ، ثم اختيار أحسن السبل لمحاورتهما و الإصغاء إليها ، فإذا لم توضع هذه الأمور النفسية و الاجتماعية في الحسبان فإن الحجاج يكون بلا غاية ولا تأثير[104].

و لقد قام بيرلمان و تيتيكا بتوضيح مفهوم الحجاج و مقارنته بمفهوم البرهنة أو الاستدلال المنطقي ، فالخطاب الطبيعي ليس خطابا برهانيا بالمعنى الدقيق للكلمة ، فهو لا يقدم براهين وأدلة منطقية ، و لا يقوم على مبادئ الاستنتاج المنطقي ، فلفظة "الحجاج " لا تعني البرهنة على صدق إثبات ما ، أو إظهار الطابع الصحيح لاستدلال ما من وجهة نظر منطقية ، و يمكن التمثيل لكل من البرهنة و الحجاج بالمثالين التاليين[105].

1- كل اللغويين علماء

زيد لغوي

إذن زيد عالم

2- انخفض ميزان الحرارة

إذن سينزل المطر

يتعلق الأمر في المثال الأول ببرهنة أو بقياس منطقي ، أما في المثال الثاني فإنه لا يعدو أن يكون حجاجيا أو استدلالا طبيعيا غير برهاني .

و استنتاج أن زيدا عالم في المثال الأول حتمي و ضروري لأسباب منطقية ،أما استنتاج احتمال نزول المطر في المثال الآخر فهو يقوم على معرفة العالم و على معنى الشطر الأول من الجملة و هو استنتاج احتمالي .

---

[103] المرجع نفسه ص 88 .

[104] المرجع نفسه ص 508 .

[105] المرجع نفسه ، ص 15 .

و لذلك قام بيرلمان و تيتيكا بوضع خصائص للحجاج تميزه عن البرهنة و الإقناع نمثلها في الجدول الآتي[106]:

البرهنة أو الاستدلال Raisonnement	الحجاج Argumentation	الإقناع Persuasion
منطق صوري يستبعد الغموض (تفكير تحليلي)	خطوة حوارية توظف أحكام القيمة و لا تخلو من غموض (تفكير جدلي)	فن المراوغة و المناورة
خطوات عقلانية تتوجه إلى الفهم، تفكير غير شخصي وملزم مجال الحقيقة	يستهدف الإقتناع العقلي بواسطة الفهم تفكير غير شخصي و غير ملزم ، إنه مجال الرأي والممكن و الاحتمال	يستهدف الإقناع بواسطة جميع الوسائل العقلية و غير العقلية تفكير شخصي تؤدي فيه صورة الذات التي تبحث عن الإقناع دورا اساسيا
يمكن لدليل واحد أن يكون حاسما	يطلب حججا كثيرة	
تستهدف مستمعا عاما	يستهدف مستمعا عاما بالإضافة إلى المستمع الخاص	يستهدف مستمعا خاصا ومقصودا
	يستهدف مستمعا نشطا ومشاركا في البحث عن الأفضل	يستهدف مستمعا سلبيا

و بعد القراءة المتأنية للجدول أعلاه يتبين أن بيرلمان و تيتيكا قد وضعا تمييزات أرسطو من أجل تحديد حقل الحجاج انطلاقا من مقابلته بعقل البرهنة ، و الحجاج يعتبر من التفكير الجدلي المبني على الحجة و البرهان لا من التفكير التحليلي .

[106] حافظ إسماعيلي : الحجاج مفهومه و مجالاته، ص 856 .

و من خلال ما سبق نرى أن هناك فرقا بين البرهنة و الحجاج ، فالبرهنة تعتمد على سلامة الاستدلال و صحته ، فإن الحجاج يهتم بأخلاقيات المرسِل و آلية إيصال الحجة اهتماما خاصا لذلك نجد أن شخصية المحاجِج لها دور فعال في الحجاج .

إن البرهنة تهدف إلى الإقناع بأي وسيلة فهي تمتاز بالمراوغة و المحايلة على عكس الحجاج الذي يعتمد على التفكير السليم و العقلاني ، و لذلك نجد الحجاج أقرب إلى القلوب من البرهان وذلك لأن الحجاج خطاب طبيعي منطقي أما البرهان فهو استدلال استنباطي.

و يلاحظ من الجدول أن الاستدلال قد يكتفي بدليل واحد لتحقيق النتيجة عكس الحجاج الذي يمتاز بتعدد الحجج لتأكيد النتيجة و إثبات صدق دعواه .

- **اللغة و الحجاج :**

تتحدد أهمية اللغة وفعاليتها في الخطاب الحجاجي حسب بيرلمان في تلك الصيغ والتراكيـــب أو كما يسميها المُوجِّهات التعبيرية التي تعد حججا منطقية معقولة تستميل عقل المتلقي ، و تتمثل تلك الصيغ فيما يلي [107] :

أ)- الصيغ اللغوية :

ضبط برلمان و تيتيكا الصيغ اللغوية على الشكل التالي :

- **النفي :**لا يكون النفي في الكلام إلا إذا كان الأمر متعلقا بمواجهة الغير في حين يكون مدار الأمر على الحجاج .
- **طرق الربط بين القضايا :** يتم الربط عن طريق أدوات الاستئناف ، حيث تبني هذه الأدوات النتيجة على السبب ، أو تحدث تراتبية بشأن القيم .
- **القوالب المتكررة :** هي صيغ لغوية تؤدي إلى نشوء الوفاق بين المرسل و المتلقي و هي من إنتاج المجتمع القائم على التراتبية ، كالحِكم و الأمثال التي تتجاوز مجرد أحداث التأثير في المتلقين إلى الاتحاد معهم وجدانيا و فكريا .

[107] عبد الله صولة : الحجاج أطره و منطلقاته ، ص 220، 222

- **الصور البلاغية :** يعتقد بيرلمان بأنها ذات قيمة حجاجية ، ومن الصور البلاغية :

التشبيه ، الكنية ،المجاز، الالتفات في أزمنة و الضمائر و التلميح و الشاهد و الاستفهام .

يقول في هذا السياق : " إن الاستعارة تحتل مكانا مرموقا إلى جانب القياس الإضماري و المقارنة ، و هي مجرد كونها مقوم محسناتي يكتفي باستثارة الحس الجمالي عند المتلقي إلى مقوم حجاجي يؤدي دورا في تغيير زاوية النظر و استمالة المخاطب و بالتالي الإقناع [108] .

ب)- الموجهات التعبيرية :

حدد بيرلمان و تتيكا هذه الموجهات في أربعة أقسام : التوجيه الإثباتي ، التوجيه الإلزامي التوجيه الاستفهامي ، التوجيه بالتمني [109] .

1- **التوجيه الإثباتي :** و من شأنه أن يستخدم في أي حجاج .
2- **التوجيه الإلزامي :** و صيغه اللّغوية هي الأمر، لكن ليس لهذه الصيغة قوة إقناعية و ذلك على عكس ما قد يعتقد ، إذ يستمد الأمر طاقته الإقناعية من شخص الآمر و ليس من ذات الصيغة و لهذا يتحول الأمر إلى معنى الترجي حين لا يكون الأمر مُؤهَّلا شرعيا لتوجيه الأمر.
3- **التوجيه الاستفهامي :** و هو ذو قيمة خطابية كبيرة إذ يفترض السؤال شيئا تعلق به ذلك السؤال و يوحي بحصول إجماع على وجود ذلك الشيء ، كما أن اللجوء إلى الاستفهام قد يهدف أحيانا إلى حمل من وجه إليه الاستفهام على إبداء موافقته – إذا أجاب – على ما جاء الاستفهام ما يقتضيه.
4- **التوجيه بالتمني :** و مداره على الصيغة المفيدة تمنيا و هذه الصيغ يستفاد منها إلى الاعتماد على فكرة ما أو رأي ما تقر به المجموعة ، مثال : " ليته ينجح " فهو يستند إلى رأي و هو أن النجاح مرغوب فيه [110] .

---

[108] محمد الوالي : الاستعارة الحجاجية بين أرسطو و بيرلمان ، مجلة فكر و نقد ، عدد 64 ، المغرب ، 2004

[109] عبد الله صولة : : الحجاج أطره و منطلقاته ، ص 222..

[110] عبد الله صولة : في نظرية الحجاج ، دراسات تطبيقية ، مسكيلياني للنشر و التوزيع ، ط1 ، 2010 تونس ص 38 .

" تنضاف إلى هذه الموجهات ، صيغ لغوية أخرى ذات أدوار حجاجية كاستعمال الأزمنة للتأثير على المستمع ، و توظيف الضمائر لتنتج علاقات مقصودة و التوجيه نحو أحكام مستهدفة [111] .

- **تقنيات الحجاج عند بيرلمان وتيتيكا:**

اهتم بيرلمان وزميله بتقنيات تنظيم الحجج بغية تحقيق الوظيفة الحجاجية وقد حصراها في تقنيتين أو طريقتين :

أ)- طرائق الوصل أو الاتصال Procedes de liaisons: والمقصود بها " الطرائق التي تقّرب بين العناصر المتباينة بدءا وفي الأصل ، وتتيح إقامة ضرب من التضامن بينها لغاية هيكلتها أي إبرازها في هيكل أو بنية واضحة أو لغاية تقويم أحد هذه العناصر بواسطة الآخر تقويما إيجابيا أو سلبيا ، ومن الأشكال الاتصالية الحجج أو الأدلة شبه المنطقية، والحجج المؤسسة على بنية الواقع، و الحجج المؤسسة لبنية الواقع ،شأن الحجج التي تستخدم الحالات الخاصة، حجة تدعم رأيا ما (المثل والشاهد والمثال)وشأن الحجج المستخدم فيها التمثيل، فهي تعاد بواسطتها صياغة بعض العناصر، الفكرية على غرار الأشكال المسلّم بها في مجالات أخرى من مجالات الواقع (التمثيل والاستعارة...الخ)

-**ب–طرائق الفصل أو الانفصال** Procedes de dissocition **:** والمقصود بها تلك التقنيات المستخدمة لغرض إحداث قطيعة وإفساد اللحمة الموجودة بين عناصر تشكل عادة كلاّ لا يتجزأ أو على الأقل كلاّ متضامنة أجزاؤه في نطاق نظام فكري واحد.

فوفق هذه الطرائق يحدث فصل داخل المفهوم الواحد بملاحظة انعدام الانسجام بين العناصر

المكوّنة له بحمل أعراضه على جوهر هو محاكمة ظاهرة في ضوء حقيقته [112] وعلى العموم هذه وقفة وجيزة ومختصرة لبعض المفاهيم المتعلقة بالحجاج أ و البلاغة ، الذي حاول بيرلمان وتيتيكا تجديد البلاغة الأرسطية القديمة وبعثها من جديد في أبهى حلّة وفق صورة مغايرة لما كان معهودا من قبل.

[111] عبد اللطيف عادل : بلاغة الإقناع في المناظرة، ص 91 .
[112] عبد الله صولة : في نظرية الحجاج، دراسات وتطبيقات، ص 41 – 42 .

2-1- الحجاج عند تولمين :

اتضح مفهوم الحجاج عند تولمن من خلال بحثه المتقدم في (1958) بعنوان (the uses of argumen) الذي يهدف إلى دراسة الأدوات الحجاجية في الاستفهام العادي للغة ، و عرض ذلك بعدة رسومات بيانية على ثلاث مراحل ، ترجمها (عبد الله صولة) ،مع بعض التصرف على النحو:

الأول :يمثل حجاجا ذا ثلاثة أركان أساسية هي : المعطى أو المصرح به ، (م) ، و النتيجة (ن) و الضمان – يكون ضمنيا – (ض)

و يصاغ على النحو التالي :[113]

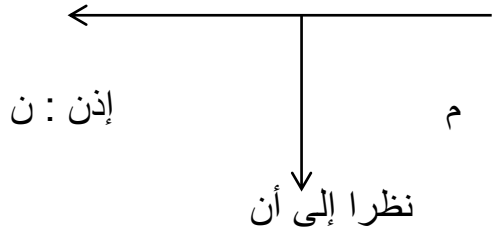

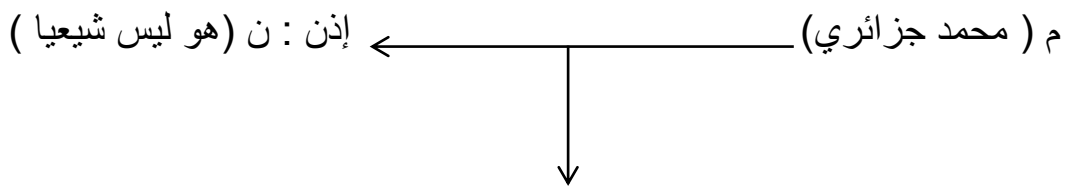

[113] خليفة بوجادي في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم بيت الحكمة ، ط2 ، 2012، ص 87-88

الثاني : يمثل حجاجا أدق من السابق بإضافة الموجه (ج) و الاستثناء (س) الذي يحمل عناصر رفض القضية .

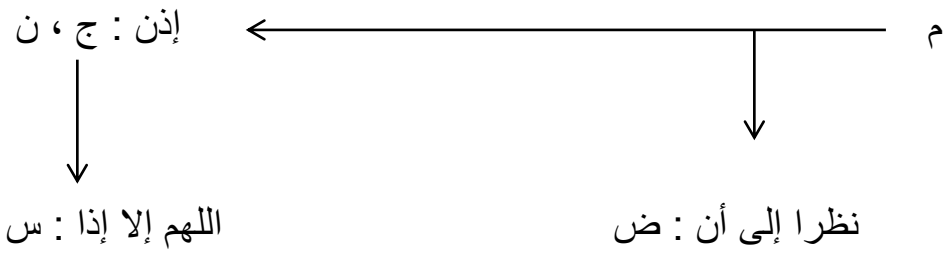

مثال :

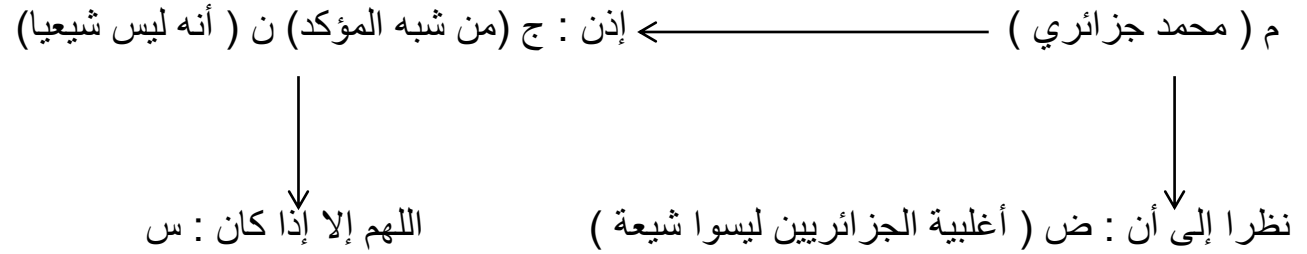

الثالث : يمثل حجاجا أكثر دقة ، بإضافة عنصر الأساس (أ) الذي يبني عليه الضمان (ض) فيكون على النحو[114]:

و مثاله :

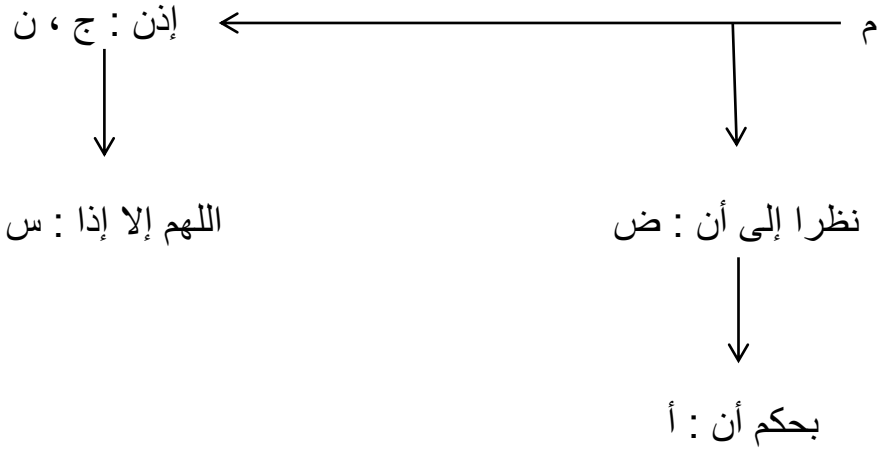

[114] المرجع نفسه ص 88 - 89 .

و مثاله :

م (محمد جزائري) ← إذن : ج (من شبه المؤكد) ن (أنه ليس شيعيا)

نظرا إلى أن:ض(أغلبية الجزائريين ليسوا شيعة)←اللهم إلا إذا:س(تشيع أثناء دراسته في إيران)

بحكم أن : أ (نسبة الشيعة لا تكاد تذكر في الجزائر)

وعليه فإن تولمين لم يتناول موضوع الحجاج بشكل موسع بل اقتصر على مفهومه و بعض أدواته الحجاجية التي نستعملها في اللّغة العادية .

3-1- الحجاج عند ديكرو وأنسكومبر:

تستند أعمال ديكرو وأنسكومبر مرجعيا إلى الإسهامات التداولية التي ميزت نظرية الأفعال اللّغوية عند أوستين و سورل، كما تستند إلى بعض أبحاث إميل بنفنيست حول التّلفظ وإلى حوارية باختين، وتمثل أعمال هذين الباحثين تيارا تداوليا مختلفا قارب الحجاج من زاوية مغايرة وهكذا فإن نظرية الحجاج في اللّغة التي اعتمدها ديكرو و أنسكومبر نظرية لسانية[115].

" تهتم بالوسائل وبإمكانيات اللّغة الطبيعية التي يتوفر عليها المتكلّم وذلك بقصد توجيه خطابه وجهة ما ، تمكنه من تحقيق أهدافه الحجاجية "[116]

[115] عبد اللطيف عادل :بلاغة الإقناع في المناظرة، ص 95 .
[116] عبد الله صولة، الحجاج أطره و منطلقاته وتقنياته، ص 298.

وقد خص هذه النظرية درس الحجاج في دراسة اللّغة لا في البحث عما هو واقع خارجها ، إذ اللّغة تحمل بصفة ذاتية وجوهرية وظيفة حجاجية ، وبعبارة أخرى هناك مؤشرات عديد للوظيفة الحجاجية للّغة في بنية الأقوال نفسها [117] .

فالحجاج في هذه النظرية كامن في اللّغة نفسها أو ذاتها دون سواها ، فهي تحمل في طيّاتها بعدا حجاجيا ملازما لها لا عنصرا مضافا إليها .

وقد انشقت هذه النظرية من داخل نظرية الأفعال اللغوية، فأضافت فعلين لغويين هما:

فعل الاقتضاء وفعل الحجاج ، ففعل الحجاج يفرض على المخاطب نمطا معيّنا من النتائج باعتباره الاتجاه الوحيد الذي يمكن أن يسير فيه الحوار ، أمّا الاقتضاء فيرتبط بقاعدة التسلل يقول ديكرو : " عندما تتسلل (أ) بواسطة العطف أو الشرط ، أو بواسطة رابط منطقي فإنها تستلزم جملة أخرى هي : (ب) والرابط المخصّص بين (أ) و (ب) لا يعني أبدا ما هو مقتضى لكن فقط ماهو منطوق بواسطة (أ) (ب) "[118].

" إن اللّغة حسب هذه النظرية تحمل في جميع مستوياتها بعدا حجاجيا وهي وسيلة سجالية في جوهرها، ومسرح لظهور المقتضى باعتباره شكلا من أهم الأشكال الحجاجية الكامنة في اللغة فالمقتضى ليس حدثا بلاغيا مرتبطا بالقول وإنما منغرس في اللّغة نفسها وهو ما يدعونا ضرورة إلى أن نعتبر اللّغة ، بصرف النظر عن استعمالاتها المختلفة: مسرح ، محاورة و مواجهة بين ذوات بشرية "[119] .

وخلاصة القول تهدف نظرية الحجاج اللّغوي أو اللساني التي وضعها ديكرو و أنسكومبر إلى دراسة الجوانب الحجاجية في اللّغة و وضعها انطلاقا من فرضية محورية ألا وهي :

" أنّنا نتكّلم عامة بقصد التأثير"

---

[117] حافظ إسماعيلي :الحجاج مفهومه ومجالاته،ص283 .
[118] المرجع نفسه الصفحة نفسها .
[119] المرجع نفسه : ص 283 .

أي : تحمل اللّغة في طياتها بصفة جوهرية وظيفة حجاجة تتجلّى في بنية الأقوال ذاتها ، صوتيا وصرفيا ، وتركيبيا ، ودلاليا ومن ثمّ "تنتمي دراسة الحجاج إلى البحوث التي تسعى إلى اكتشاف منطق اللّغة ، أي: القواعد الداخلية للخطاب ، والمتحكمة في تسلسل الأقوال و تتابعها بشكل متنام وتدريجي وبعبارة أخرى ، يتمثل الحجاج في إنجاز تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب "[120] .

ترى هذه النظرية أن الوظيفة الأساسية للغة ليست هي الوظيفة الإخبارية بل هي الوظيفة الحجاجية ويعني هذا أن الوظيفة التواصلية وظيفة ثانوية ليست إلاّ.

1- التداولية المدمجة Pragmatique intégrée ودور الحجاج فيها :

يرى ديكور و أنسكومبر استنادا إلى هذه النظرية أن التداولية (شروط الاستعمال التخاطبي والمقامي للملفوظات) ، لا توجد إلاّ مدمجة في الدلالة فهي ليست مخرجا أخيرا لها .

فحينها يقول القائل : لقد نسيت مرة أخرى أين وضعت مفاتيحي ؟

فإن التداولية المدمجة تقرّ أن هذه الجملة تنطوي على طلب إخبار ، إخبار بمكان المفاتيح دون أن تصرح به .

وإن هذا الطرح اللّساني الذي لا يفصل بين البعد التداولي والبعد الدلالي في الخطاب ، جعل ديكرو يؤكد أنّ : معنى أي ملفوظ وحتى في الحالة تقدم فيها للكلمة مفهوما الأكثر ضيقا أي الأكثر نحوية ، لا يمكن أن يوصف دون استحضار مقصديات معّينة لتلفّظه.

ـ تبعا لذلك ، ينفتح الحاجز بين الدلالة والتداولية ، لأن المعنى مرتبط ضرورة بسياق تلفظ معيّن و بوظائف تخاطبية محدّدة .

بعبارة اخرى :تشكّل التداولية المدمجة النظرية الدلالية التي تعطي الأهمية الأساس للمعطيات التداولية في إطار المعنى[121] .

وقدّ عرف ديكرو في كتابة الحجاج في اللّغة مفهوم الحجاج في التداولية المدمجة بقوله :

---

[120] أبو بكر العزاوي : اللّغة والحجاج ، العمدة في الطبع ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط1 ، 2006 ،ص8 .

[121] عبد اللطيف عادل : بلاغة الإقناع في المناظرة ، ص95 –96 .

" يقوم متكلّم ما بفعل الحجاج عندما يقدم قولا (ق1) (أو مجموعة أقوال) يفضي إلي التسليم بقول آخر(ق2) (أو مجموعة أقوال أخرى) فالقول (ق 1) هو الحجّة التي يصرح بها المتكلم أمّا (ق2) فهي التي يستنتجها المستمع ، وهذه النتيجة تكون إما مصرحا بها أو ضمنية "[122] .

" إذن فالحجاج في نظرية اللّغة هو إنجاز الفعلين هما فعل التصريح بالحجة من ناحية وفعل الاستنتاج من ناحية أخرى ، سواء كانت النتيجة مصرّحا بها أو ضمنية "[123]

إن الوظيفة الحجاجية التي تشكل وظيفة أولية في اللّغة ، وليست استعمالا ثانويا ، تقتضي حسب ديكرو و أنسكومبر " إنجاز تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب كما تقدم فيكون الحجاج في اللّغة إذن هو : " انتاج متواليات من الأقوال بعضها بمثابة الحجج وبعضها الآخر هو بمثابة النتائج[124].

ولهذه النظرية التداولية المدمجة خصائص وموضوعات نذكر منها ما يلي :

أ) – خصائص التداولية عند ديكرو و أنسكومبر : [125]

1- " تنبثق فكرة التداولية المدمجة من تطبيق المسلمة السابقة (س1) :

(لا وجود لمعنى الملفوظ إلا بالعودة إلى تلفظه) . ويعني ذلك إلحاق المظهر التلفظي للمعنى بمظهره الإخباري ،أو بمظهر شروط الصدق ، التي تنتجه الدلالة .

2- تميز التداولية المدمجة بين :

أ- ما يعود إلى الخصائص الداخلية للّغة :(الوقائع المتواضعة)

ب - وما يرجع إلى الخصائص الخارجية للّغة (الوقائع السياقية) أو (الوقائع الحوارية بمفهوم غرايس) .

---

[122] jeam ,claude ,anxombre et osuval ducrot , l'argumentation dans le langue , pierre mordage ,éditeure , Bruxelles, 1983,p8 .

[123] حافظ إسماعيلي الحجاج مفهومه و مجالاته ص 282.

[124] عبد اللطيف عادل :بلاغةالإقناعفيالمناظرة،ص97- 98 .

[125] حافظ إسماعيلي : الحجاج مفهومه ومجالاته، ج2 ، ص 244 – 245 .

وهذا يعني أنّ الدلالة المدمجة لا تتناول الظواهر المتعلقة – تقليديا بالتداوليات بل تدرس فقط المتعلقة بالمواضعة اللسانية ، داخل بنية اللّغة .

ج- موضوعات التداولية المدمجة :

" أمّا موضوعاتها فتتحدد عند أنسكومبر و ديكرو في الفرضيتين الخارجية والداخلية التاليتين :

1 – الفرضية الخارجية :

* رصد البناء :

لا يتشكل موضوع التداول المدمجة خارجيا من ملفوظ ، و إنما بالأصح يتشكل من ذلك المعنى المرتبط بذلك الملفوظ .

2- الفرضية الداخلية :

* رصد التوجه :

يتشكل موضوع التداولية المدمجة خارجيا من إوالية التوجيه الحجاجي الموظفة للمؤشرات الحجاجية سلبا و إيجابا "[126]

2- العلاقة الحجاجية Relations argumentatifs:

" إن الحجاج في هذه النظرية علاقة دلالية تربط بين الأقوال ، بحيث يقوم الاشتغال الحجاجي على تقديم المتكلم لقول معين يعتبر حجة ، يستهدف من خلاله حمل المخاطِب على القبول بقول آخر ، يعد نتيجة سواء كان هذا القول / النتيجة صريحا أو ضمنيا ، و لا تكتسي هذه الأقوال طبيعتها الحجاجية إلا في سياق معين ، فما يمكن أن يكون حجة في هذا السياق قد لا يكون كذلك في سياق آخر[127].

إن العلاقة إذن بين الأقوال / الحجج و الأقوال / النتائج ، تسمى العلاقة الحجاجية .

---

[126] المرجع السابق ص 245.

[127] عبد اللطيف عادل ، بلاغة الإقناع في المناظرة ، ص95 -96 .

و بعبارة أخرى : تسمى العلاقة التي تجمع بين الحجة و النتيجة العلاقة الحجاجية .

3- المواضع الحجاجية :

" حسب ديكرو و أنسكومبر فإن الانتقال الخطابي من ملفوظ / حجة إلى ملفوظ / نتيجة .

يتم بتطبيق جملة من المبادئ العامة اختار لها تسمية مواضع ، و المواضع عندهما هي عماد الحجاج و الخلفية التي ينبني عليها النشاط الحجاجي ، إنها قواعد عامة مقبولة جماعيا تعكس الجهد المبذول من طرف المتكلم لتبرير وضعية ما ، أو موقف أو فعل و جعله مقبولا .

و الأمر الذي يعني أن كل علاقة حجاجية تتطلب وجود موضع بين الحجة و النتيجة أي مسارا مبررا يعتمد في الانتقال الحجاجي ، لذلك فاختيار جملة ما في مقام معين دون غيرها يعني اختيارا لتطبيق موضع ما دون غيره "[128]

إن المواضع إذن هي قواعد عامة تجعل من الممكن إنجاز حجاجات خاصة و هي تنتمي للمعاني المشتركة ، أي إنها ذات قبول جماعي ، كما أن هذه المواضع ذات طابع تدرّجي إذ لها أشكال تتحدد بأكثر أو أقل ضمن منطقة حجاجية محددة .

4- الاتجاه الحجاجي :

ويعني هذا المفهوم أنه إذا كان قول ما يمكن إنشاء فعل حجاجي ، فإن القيمة الحجاجية لهذا القول يتم تحديدها بواسطة الاتجاه الحجاجي ، وهذا الأخير قد يكون صريحا أو مضمرا ،فإذا كان القول أو الخطاب مُعلَّما أي مشتملا على بعض الروابط والعوامل الحجاجية ، فإن هذه الأدوات والروابط تكون متضمنة لمجموعة من الإشارات والتعليمات التي تتعلق بالطريقة التي يتم بها توجيه القول أو الخطاب.

أما في حالة كون القول غير معلم ،فإن التعليمات المحددة للاتجاه الحجاجي تستنتج آنذاك من الألفاظ والمفردات ، بالإضافة إلى السياق التداولي و الخطابي العام .[129]

---

[128] المرجع نفسه ص 98-99.

[129] ابو بكر العزاوي : اللغة والحجاج ص 25

تشتمل اللغة العربية على مجموعة من الروابط الحجاجية مثل:

لكن، وبل ، وإذا ،إذن، وحتى ، وكي ، ولام التعليل ، ولاسيما ، وإذ ، ولأن ، وربما أن ،ومع ذلك ، وربما ، وتقريبا ، وإنما ، وما إلا ، وبيد أن....الخ .

وتستتبع هذه الروابط علاقات حجاجية قائمة على الحجج والنتائج وقد تكون هذه الروابط صريحة أو مضمرة حسب السياق التداولي ، ومن ثم يتحدث ديكرو و أنسكومبر عن التداوليات المدمجة التي تقرن الحجة بالنتيجة بواسطة الروابط الحجاجية ، وهذا ما دفع ديكرو بالتفكير في مواضع مقاربة حجاجية لسانية تهدف الى وصف هذه الروابط اللغوية في سياقها التداولي بعيدا عن وصفها النحوي التقليدي[130].

كما أن التوجيه الحجاجي يعني كذلك : "إسناد اتجاه معين لقول ما بغاية بلوغ نتائج محددة ، ولا يخفى أن هذا التوجيه الذي يوسع أو يضيق الاحتمالات الحجاجية ليقودها في اتجاه معين تحدده البنية اللغوية للخطاب "[131].

5- القرائن الحجاجية :

لقد ميز ديكرو هذه القرائن إلى نوعين :

أ –**العوامل الحجاجية Les Operateurs :** " هي عناصر لغوية اسنادية نحوية أو معجمية تربط بين مكونات القول الواحد كالحصر أو النفي و الشرط ..... "[132] وهي لا تربط بين حجة وأخرى ،بل تقوم بدور حصر الإمكانات الحجاجية وتقييدها داخل ملفوظ حجاجي معين ومن أدواته : ربما ، وتقريبا وكاد ، وقليلا ، وكثيرا ، وما .... إلاّ ، وجلّ أدوات الحصر والقصر[133].

[130] جميل حمداوي : من الحجاج إلى البلاغة الجديدة ، ص 38 .

[131] عبد اللطيف عادل: بلاغة الإقناع في المناظرة ،ص 99 .

[132] المرجع نفسه، ص 100.

[133] جميل حمداوي من الحجاج إلى البلاغة الجديدة ص39 .

ب- الروابط الحجاجية Les Connecteurs:" هي مكونات لغوية تداولية "[134]

و هذه الروابط الحجاجية : " تربط بين قولين أو بين حجتين على الأصح أو أكثر وتسند لكل قول دورا حجاجيا محددا حسب السياق التداولي ، ومن بين هذه الروابط : بل ، لكن ، حتى ، لاسيما إذن ، بما أن ، إذ ....الخ .

وعلى العموم فثمة أنماط عدة من الحجج ، مثل : الروابط المدرجة للحجج (حتى ، وبل ، ولكن ومع ذلك، ولأن .....) والروابط المدرجة للنتائج ، مثل (إذن ، إذا،و بالتالي ...) والروابط التي تدرج حججا قوية (حتى ، بل ، لكن ، لاسيما .....) ، و الروابط التي تدرج حججا ضعيفة وروابط التعارض الحجاجي مثل : (بل ، لكن ، مع ذلك ، .....)، و روابط التساوق الحجاجي مثل : (حتى ، لاسيما .....) "[135].

أما المبادئ الحجاجية فهي بمثابة ضمان للروابط الحجاجية كما تقدم ذكره .

6- القسم الحجاجي :

" حسب ديكرو فإن المقصود بالقسم الحجاجي : هو أن يعمد المتكلم في مقام خطابي معين إلى وضع قولين (ق1 ، ق2) يعتبرهما حجتين تخدمان نفس النتيجة ، ومن ثم فإن القسم الحجاجي يقوم على تضافر الحجج لخدمة استراتيجية واحدة ويشير ديكرو إلى أن القسم الحجاجيي ذو طبيعة نسبية لأنه يتغير بحسب الوضعية التي يتلفظ بها المتكلم (الوضعية الايديولوجية والاجتماعية والزمانية والمكانية..... ...) ولأنه محكوم بطبيعة النتائج التي يخدمها فمتى تغير اختياره القسم الحجاجي "[136].

يعني هذا أن المتكلم يلجأ إلى وضع قولين (ق1 ، ق2) و يعتبرهما حجتين تخدمان نفس النتيجة.

و من هنا يتبين أن القسم الحجاجي يبنى على تظافر الحجج لخدمة نتيجة واحدة .

---

[134] عبد اللطيف عادل: بلاغة الإقناع في المناظرة، ص 100.

[135] جميل حمداوي : من الحجاج إلى البلاغة الجديدة ص 39 .

[136] عبد اللطيف عادل بلاغة الإقناع في المناظرة،ص100 .

و هذا ما أشار إليه ديكرو حين قال أن القسم الحجاجي ذو طبيعة نسبية لأنه متعلق بوضعية المتكلم الاجتماعية و الإيديولوجية ، و محكوم بطبيعة النتائج التي يخدمها ، و بالتالي يمكن القول أن بينهما علاقة طردية .

7- القوة الحجاجية Force argumentative :

"إن الحجج المنتمية الى نفس القسم الحجاجي تتفاوت لأنها ترتبط فيما بينها بعلاقة تراتب ففيها حجج قوية وحجج ضعيفة ، وهذا التدرج في الحجج ما يكسب الحجاج في اللغات الطبيعية إمكانات الغنية و الواسعة ويجعله مخالف للبراهين المنطقية والرياضية فاعتماد الحجاج على الحجة وليس على الدليل البرهاني " [137] .

و يتضح هذا الكلام في الأمثلة التالية :

- " أنت مرهق إذن أنت في حاجة إلى الراحة .

تتضمن هذه الجملة دلالات حجاجية ، فهناك الحجة أو الدليل (أنت مرهق) ، و النتيجة (أنت في حاجة إلى الراحة) و الدليل على الطبيعة الحجاجية إذن لهذه الجملة هو وجود الرابط الحجاجي (إذن) و قد يكون هذا الرابط مضمرا ، فتكون النتيجة أيضا مضمرا كما في هذه الجملة : (أنت مرهق ، أنت في حاجة إلى الراحة) .

وهكذا يتبين لنا بأن الحجج اللغوية سياقية تتحدد حجيتها بالسياق اللغوي ، فقد تكون العبارة الواحدة اما حجة و غما نتيجة ، ومن جهة ثانية تكون الحجج اللغوية نسبية مادامت هناك حجج قوية وحجج ضعيفة .....ويعني هذا أن الحجاج اللغوي نسبي ومرن و تدريجي وسياقي بخلاف البرهان المنطقي و الرياضي الذي هو مطلق وحتمي "[138].

إن هذه العلاقة التراتبية بين الحجج واختلاف درجات قوتها تظهر عند ديكرو في تمثيل هذه العلاقة ضمن ما سماه بالسلم الحجاجي.

---

[137] المرجع نفسه : ص 100 - 101.

[138] جميل حمداوي : من الحجاج إلى البلاغة الجديدة، ص 36، 37 .

8- السلم الحجاجي:

يقول ديكرو:" إن أي حقل حجاجي ينطوي على علاقة ترتيبية (لحجج) نسميه سلما حجاجيا مما يعني بأن الحجج حينما تتفاوت ضمن نفس الحقل الحجاجي تكون سلما حجاجيا " [139] .

و الملاحظة أن السلم الحجاجي يتكون من فئة حجاجية موجهة ويتكون من مجموعة من الدرجات في القوة والضعف فهي تتفاوت في قوتها التدليلية بحيث يعلو بعضها على بعض .

وقد مثل ديكرو لهذا السلم بالخطاطة التالية :

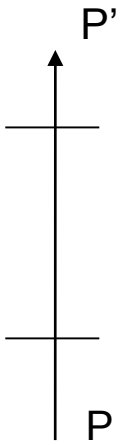

حيث ترمز P' للحجة الأقوى

حيث ترمز p للحجة الأقل

وقد حدد الدكتور طه عبد الرحمن السلم الحجاجي استنادا لإسهامات ديكرو بكونه :

" مجموعة غير فارغة من الأقوال المزودة بعلاقة ترتيبية ومستوفية للشرطين التاليين :

أ)– أن كل قول يقع في مرتبة ما من السلم يلزم عنه ما يقع تحته ، بحيث تلزم من القول الموجود في الطرف الأعلى جميع الأقوال الأخرى.

ب)– أن كل قول في السلم كان دليلا على مدلول معين، كان ما يعلوه مرتبة دليلا أقوى "[140].

وقد مثل الدكتور طه عبد الرحمن للسلم الحجاجي بالأقوال التالية :

- حصل زيد على الشهادة الابتدائية

[139] عبد اللطيف عادل : المرجع ،ص101.

[140] طه عبد الرحمان : في أصول الحوار و تجديد علم الكلام ، ص 104 – 105 .

- حصل زيد على الشهادة الثانوية

- حصل زيد على شهادة الإجازة

حيث مثلت هذه الأقوال الثلاثة حججا شكلت سلما نتيجته / مدلوله ، كفاءة زيد العلمية .

يتضح إذن من خلال السلم الحجاجي أن الحجج ليست مطلقة كما أنها لا تتساوى بل تتدرج قوة وضعفا ".

مما يعني ،أن هذه الأمثلة تؤشر على نتيجة مضمرة تتمثل في كفاءة زيد ، وتثبت مكانته العلمية بيد أن الدليل القوي على مكانته العلمية يدل عليه الدليل القوي إلا وهو الحصول على شهادة الثانوية .

كما يؤكد ذلك شكري مخبوت بقوله : " إن المُحاجّة لا تتحدد بالمحتوى الخبري للقول ومدى مطابقته لحالة الأشياء في الكون ، وإنما هي رهينة اختيار هذه الحجة أو تلك بالنسبة إلى نتيجة محددة "[141] .

هذا باختصار معظم المفاهيم التي جاءت بها نظرية الحجاج في اللغة على يد ديكرو وأنسكومبر اللذين وصفا الشواهد اللغوية أو النصية في ضوء رؤية لغوية حجاجية تركيبيا ودلاليا وتداوليا من خلال التركيز على مجموعة من المفاهيم الإجرائية ، مثل الروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية ، و المبادئ الحجاجية و العلاقات الحجاجية ، و السلم الحجاجي ، و الدليل الأقوى ومراتب السلم الحجاجية ، و النتائج و القوة الحجاجية التي قدمت تصورات جديدة حول المعنى وكشف الضوء حول كثير من القضايا والظواهر اللغوية .

1- أصناف الحجاج :

لقد صنف عبد الهادي الشهري في كتابه استراتيجيات الخطاب الحجاج إلى صنفين هما:

" الحجاج التوجيهي و الحجاج التقويمي" ، وذلك باعتبار استحضار حجاج المرسَل إليه من عدمه ، سواء الحجاج السابق أو المتوقع ، فقد يكتفي المرسِل بإنتاج خطابه دون تفكير فيما لدى

[141] شكري المخبوت : نظرية الحجاج في اللغة ،ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج من أرسطو إلى اليوم ، ص 370 .

المرسَل إليه من حجج قد يواجهه بها ، أو بأن يضع تلك الحجج المفترضة أو المتوقعة في حسبانه فتصبح أساسا يبني عليه خطابه.

1-1- الحجاج التوجيهي :

وهو إقامة الدليل بالبناء على فعل التوجيه الذي يتعلق به المستدِلّ ، و التوجيه يعني فعل إيصال الحجة من طرف المستدِلّ إلى المتلقي ، و لهذا نجد المستدِلّ ينشغل بأقواله قصد إيصالها إلى المخاطَب ، و لا يهتم بنفس القدر لتلقي المخاطِب، و هذا ما يفضي به إلى تناسي الجانب العلائقي من الاستدلال ، و هو أساسي عند المتلقي حيث يفتح له الباب في الاعتراض ، وهذا النوع من الحجاج متعلق بالأفعال اللغوية التي تخص المُرسِل من الاستدلال ، لأنه لا يهتم بالمرسَل إليه و هذا ما يجعل تصوره ناقصا .[142]

وكما قال طه عبد الرحمن : "وهذا النوع الحجاجي تدعمه النظرية اللسانية المعروفة باسم (نظرية أفعال الكلام) والتي ترد الأفعال إلى القصد والفعل ، وهما عماد التوجيه "[143].

و يمكن أن نخلص مما سبق ذكره أن هذا الصنف من الحجاج يهتم فقط بالمخاطِب و صفته، و لا يبالي بالمخاطَب و ردّة فعله.

2-1- الحجاج التقويمي :

والمقصود بالحجاج التقويمي هو إثبات الدعوى بالاستناد إلى قدرة المستدِلّ على أن يجرد من نفسه ذاتا ثانية ينزلها منزلة المعترض على دعواه ، فلا يكتفي المستدِلّ بالنظر في فعل إلقاء الحجة إلى المخاطَب ، واقفا عند حدود ما يوجب عليه من ضوابط وما يقتضيه من شرائط ، بل يتعدى ذلك الى النظر في فعل التلقي باعتباره هو نفسه أول متلق لما يلقي ، فيبني أدلته أيضا على مقتضى ما يتعين على المستدَلّ له أن يقوم به ، مستبقا استفساراته واعتراضاته ومستحضرا مختلف الأجوبة عليها ومستكشفا إمكانات تقبلها واقتناع المخاطَب بها. وهكذا فإن المستدلّ

---

[142] ينظر عبد الهادي بن ضافر الشهري : استراتيجيات الخطاب ، ص470 .

[143] طه عبد الرحمن : اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي ، المركز الثقافي العربي ،.الدار البيضاء ،بيروت ط1 1998م ص 227.

يتعاطى لتقويم دليله بإقامة حوار حقيقي بينه وبين نفسه ، مراعيا فيه كل مستلزماته التخاطبية من قيود تواصلية وحدود تعاملية ، حتى كأنه عين المستدَل له في الاعتراض نفسه [144].

أما هذا الصنف من الحجاج فإنه يولي اهتماما واعتبارا و وزنا للمتلقي أو المخاطَب و دوره الفعال في العملية الحجاجية على عكس الحجاج التوجيهي ، الذي لا يقصي الطرف الآخر في العملية الحجاجية .

"ويتجسد الحجاج التقويمي في بعض أصناف الخطابات التي يستعمل فيها المرسِل مقولات مثل قبيل: قال، فقلت، قلنا، قيل، إن قلتم.

وغيرها من المقولات التي تدل على أن المرسِل يستبق اعتراضات المرسل إليه ، ثم يُدحِضها بحجج في الخطاب نفسه ، مُعوَّلا في تكوين خطابة الحجاجي وبنائه على سعة معرفته بالموضوع كما قد يكون الحجاج التقويمي بالتلميح من مرسل معين بالأداة الإشارية .

مثل : من يقول كذا ، من يدعي كذا .

فيستعمل المرسِل هذه الإشارات الشخصية ليجسّد سياقا واقعيا ممكنا ليُحاجِج من خلاله ويتوقع نتائج معينة[145].

وقد حصر طه عبد الحمن في كتابه " اللسان والميزان أو التكوثر العقلي " ثلاثة أصناف من الحجاج : الحجاج التوجيهي ، والحجاج التقويمي ، كما تقدم ذكره عند " الشهري " الذي صنفه إلى صنفين ، وقد أضاف طه عبد الرحمن صنفا ثالثا وهو الحجاج التجريدي .

3-1 الحجاج التجريدي :

والمقصود بالحِجاج التجريدي هو الإتيان بالدليل على الدّعوى على طريقة أهل البرهان، علما أنّ البرهان هو الاستدلال الذي يعني بترتب صور العبارات بعضها على بعض بصرف النظر عن مضامينها واستعمالاتها.

---

[144] عبد الهادي بن ضافر الشهري :استراتيجيات الخطاب ، ص 473.

[145] المرجع نفسه ،الصفحة نفسها .

يفهم من هذا التعريف أن الحجاج التجريدي يهتم بالشكل فقط ويظهر في الشطر الأول من التعريف ، ويهمل المضمون ويتجاهله ويظهر في الشطر الثاني من التعريف ، فهو بذلك يُولي اهتماما بالعبارات دون الاهتمام بمضامينها ومقاماتها [146].

2- أصناف الحُجَج :

يستعرض الدارسون أصناف الحُجَج التي تزخر بها النصوص وتختلف هذه الأصناف من نص إلى آخر ومن خُطبة إلى خُطبة ،ومن بين أصناف الحِجج نذكر ما يلي :

1)- حجة التبرير: أي تبرر علاقة النتيجة بالحجة و من أدلتها "بما أنّ ".

2)- حجة الاتجاه: وغرضها التحذير من انتشار شيء ما.

3)- الحجة التواجدية :تبنى على علاقة الشخص بعمله .

4)- الحجة الرمزية: للرمز قوة تأثيرية في الذين يُقرّون بوجود علاقة بين الرّامز والمَرموز إليه كدلالة العَلَم في نسبته إلى وطن معين والهِلال بالنسبة إلى حضارة الإسلام والصليب بالنسبة إلى المسيحية والميزان إلى العدالة.

5)- حجّة المثل : إن الغاية من اعتماده حجاجيا هو التأسيس للقاعدة والبرهنة على صحتها .

6)-حجة الاستشهاد: غايتها توضيح القاعدة وتكثيف حضور الأفكار في الذهن وربما كان الاستشهاد أداة لتحويل القاعدة من طبيعة مجردة إلى أخرى محسوسة ،ولعل القرآن الكريم فيما يقدم لنا من أمثلة حجاجية أهم مصدر لهذه الأشكال الحجاجية على أن العناية بالاستشهاد القائم على التمثيل مقيد بجملة من القيود لعل أهمها عدم إطنابه ومن الحجج معتمدة أيضا المعطيات العددية الناتجة عن الإحصاء [147].

---

[146] طه عبد الرحمان : اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي ، ص 226 .

[147]حافظ إسماعيلي : الحجاج مفهومه ومجالاته ، ص 244-245.

3- تقنيات الحجاج :

يعتمد الخطاب في الحجاج على تقنيات مخصوصة لا تخص بمجال من المجالات دون غيره فهي مِطواعة حسب المرسِل لها إذ يختار حججه وطريقة بنائها بما يتناسب مع السياق الذي يَحُفّ بخطابه.

فيعمد المرسِل إلى توظيف الأدوات اللغوية بمعانيها وخصائصها وإمكاناتها المعروفة وتنوع وظائفها في السياقات الممكنة وقد صنّف العرب بعضا منها في أعمالهم التي تركز على تلك المعاني[148].

"ويقسم بيرلمان و تيتيكا تقنيات الحجاج اللغوية إلى فئتين هما :

- تقنيات طرق الوصل تقنيات طرق الفصل.

ويقصد بالأولى ما يتم به فهم الخطط التي تقرب بين العناصر المتباعدة في الأصل لتمنح فرصة توحيدها من أجل تنظيمها وكذلك تقويم كل منها بواسطة الأخرى سلبا أو إيجابا.

والثانية تقنيات الفصل : هي التي تكون غايتها توزيع العناصر التي تعد كلاّ واحدا أو على الأقل مجموعة مُتّحدة ضمن بعض الأنظمة الفكرية أو فصلها أو تفكيكها .

وليست هذه الأدوات هي الحُجج بعينها كما أنها لا تستوعبها كلها وإنما هذه الأدوات هي قوالب تنظم العلاقات بين الحجج والنتائج أو تعين المرسل على تقديم حججه في الهيكل الذي يناسب السياق "[149].

و يمكن تقسيم آليات الحجاج إلى ثلاثة أنماط أساسية كما يرى الشهري:

[148] عبد الهادي بن ضافر الشهري : استراتيجيات الخطاب ،ص 477.

[149] المرجع نفسه ص 477.

1- الأدوات اللغوية الصرفة : و تعني ما يتم تسخيره في الإقناع و هو من طبيعة لفظية خالصة و يدخل فيها ألفاظ التعليل ، و الوصف السّببي ، و التراكيب الشرطية و الأفعال اللغوية والحجاج المتبادل ، و الوصف و تحصيل الحاصل [150] .

أ- ألفاظ التعليل :

تعد ألفاظ التعليل من الأدوات اللغوية التي يستعملها المرسل لتركيب خطابه الحجاجي و بناء حجته فيه ، و منها المفعول لأجله ، و كلمة السبب ، و لأن ، إذ لا يستعمل المرسِل أيّ أداة من هذه الأدوات إلا تبريرا أو تعليلا لفعله .

مثال ذلك : "و المرأة عندما تُعاق ، يُعاق نصف المجتمع ، لذا فإنه يجب إيلاء المرأة المُعاقة كما يُولَى الرجل اهتماما ، لتحقيق التنمية .

فالمرسل يريد أن يقنع المجتمع عامة ، خصوصا المسؤولين ، بضرورة الاهتمام بالمرأة المُعاقَة و أن لا يقتصر الاهتمام بالرجل المُعاق فحسب، و لذلك أورد حجته التي تبرر دعوته ، وهي لتحقيق التنمية "[151]، فالمفعول لأجله تمثل في كلمة (تُعاق ، يُعاق) .

و مثال ذلك أيضا :

- هل أكلت الطعام كله لأنه لذيذ ؟
- لا ، طبعا ، ليس لهذا السبب أكلته كله .
- و لماذا أكلته كله ، إذن ؟
- لأنه منكسب حلال.

إذ يبرر المرسِل سبب أكله للطعام كله ليس لجوعه فقط، بل لاعتقاده كذلك، رغم كون النتيجة واحدة، وهي انتهاء الطعام ، فقد استعملت إنّ في تبرير الفعل .

[150] نواري سعودي أبو زيد : ممارسات في النقد و اللسانيات ، بيت الحكمة للنشر و التوزيع ط1 ، 2012-ص 132 .

[151] عبد الهادي بن ضافر الشهري استراتيجيات الخطاب ص 477 .

ب- الأفعال اللغوية Actes de langage:

يرى فان إيميرن و جروتندورست ، أن الأفعال اللغوية تسهم بأدوار مختلفة في الحجاج ، إذ يضطلع كلٌّ منها بدور محدد في الحجاج بين طرفي الخطاب و تترتب الافعال حسب مقدار الاستعمال ، فالمرسل يستعمل أغلب أصناف الفعل التقريري ، إن لم يكن كلها ليعبر عن وجهة نظره ، و ليحدد موقفه من نقطة الخلاف ، كما يستعمله للمواصلة في حجاجه من خلال التأكيد أو الإدّعاء ، و لتدعيم وجهة نظره أو للتّراجع عنها عند اقتناعه بأنها لم تعد صالحة ، كما يعبر بها عن تنازله عن دعوّاه ، و كذلك لتأسيس النتيجة[152] .

و لقد صنّف سورل خمسة أصناف للأفعال اللغوية :

1)- الأخبار (تبلغ خبرا و هي تمثل الواقع) و تسمى أيضا : التأكيدات و الأفعال الحكمية .

2)- الأوامر (تحمِل المخاطَب على فعل معين)

3)- الإلتزامية (أفعال التعقد) و هي أفعال التكليف عند أوستين ، حين يلتزم المتكلم بفعل شيء معين .

4)- التصريحات : و هي الأفعال التّمرّنية عند أوستين و تعبر عن حالة ، مع شروط صدقها .

5)- الإنجازيات : (الإدلاءات) تكون حين التلفظ ذاته [153] .

و قد تتبع إيميرن و جروتندورست دور كل صنف من الأفعال اللغوية التي صنفها (سورل) إذ وجد أنّ بعضها ذو دور حِجاجي ، أما بعضها الآخر فليس له ذلك الدور .

فالأفعال الإلزامية تستعمل للتعبير عن قبول وجهة النظر أو الرغبة في الحِجاج من عدمه وفي تدعيم موقف المرسل الذي اتخذه لقبول التحدي و الدفاع عن موقفه ، و تستعمل كذلك

[152] عبد الهادي بن ضافر الشهري :استراتيجيات الخطاب .ص 481-482.

[153] نواري سعودي أبو زيد : ممارسات في النقد و اللسانيات ،ص 80 .

للتعبيرعن الموافقة على مناصره الدعوى أو معاداتها ، و اتخاذ القرار ببدء النقاش مع الموافقة على ضوابطه [154] .

أما الأفعال التوجيهية فلا يستعمل المرسل جميع أصنافها ، و ذلك لطبيعتها التي لا تناسب ما تقتضيه طبيعة النقاش ، إذ لا يتطلب السياق استعمال بعض الأنواع منها ، مثل الأوامر و أفعال التحريم ، و لذلك يقتصر استعمال المرسل على البعض منها ، مثل التحدي للدفاع عن وجهة النظر ، أو طلب الحجاج [155] .

إن دور الأفعال اللغوية يتجاوز الدور المساعد في تركيب الخطاب إذ يستعمل المرسل الاستفهام أو النفي أو الإثبات في الحجاج .

و "يُعدّ الاستفهام من أنجع أنواع الأفعال اللغوية حجاجا [156]، و كما يكون الحِجاج بالاستفهام فإنه يمكن أن يكون باستعمال النفي ، كما في "خطاب لَيْلى الأخْيلِيّة للحَجَّاج "حيث سألها عن ولدها و أعجبه ما رأى من شبابه إذ قالت له :

" إني و الله ما حملته سهوا ، ولا وضعته يَتْنا و لا أرضعته غيْلا ، و لا أنمته تَئِقا ، تعني لم أنومه مستوحشا باكيا ، و قولها ما حملته سهوا ، تعني في بقايا الحيض ، و قولها : ولا وضعته يتنا ، تعني مُنكِسًا ، و قولها و لا أرضعته غَيْلا ، تعني لبَنًا فاسدا "

فكل قول منفي من أقوالها السابقة هو حجّة لإقناع الحَجَّاج بأنّها قد أوْلت ابنها العناية الكاملة والرعاية في الحمل و الرضاعة ، و التي بلغت به المبلغ الذي جعل الحَجَّاج يُعجب به .

ج- الحجاج بالتبادل :

يحاول المرسِل بهذه الآلية أن يصف الحال نفسه في وضعين ينتميان إلى سياقين متقابلين وذلك ببلورة علاقات متشابهة بين السياقات ، كما يمكن أن تكون الحجج نقلا لوجهة النظر بين المرسِل و المرسَل إليه ، و ذلك مثل الخطابات التالية :

---

[154] عبد الهادي بن ضافر الشهري :استراتيجيات الخطاب ،ص 482 .

[155] المرجع نفسه الصفحة نفسها .

[156] المرجع نفسه ص 483 .

- ما يأتي بسهولة يذهب بسهولة .

- عامل الناس كما تحب أن يعاملونك.

- لا ترضى لي إلاّ ما تراضاه لنفسك .

و ما يهم هنا هو إقناع المرسِل بتطبيق قاعدة العدل [157] .

د – الوصف :

يشتمل الوصف عددا من الأدوات اللغوية منها: الصفة و اسم الفاعل و اسم المفعول.

1)- الصفة :

تُعدُّ الصفة من الأدوات التي تمثل حجة للمرسل في خطابه و ذلك بإطلاقه لنعت معين في سبيل إقناع المرسل إليه، مثال ذلك:

تحطمت طائرة استطلاع بدون طيار فوق المرتفعات عندما كانت تقوم بعملية (روتينية) إذ إن الوصف (الروتيني) حجاج يزيل كثير من التساؤلات حول الطلعة الجوّية التي قامت بها الطائرة و بهذا فإن " الصّفة " تمثل أداة في الفعل الحجاجي و علامة عليه [158] .

2)- اسم الفاعل :

" يعتبر اسم الفاعل من نماذج الوصف التي يدرجها المرسِل في خطابه بوصفها حجة ليسوغ لنفسه إصدار الحكم الذي يريد ، لتنبني عليه النتيجة التي يرومها .

و اسم الفاعل هو : اسم مشتق يدل على معنى مجرد و على فاعله .

فممّا يبتغي الناس به تحصيل الفائدة ، ما يذهبون إليه من وصف شارون بأنّه :

- مجرمُ حَرْب .

---

[157] المرجع السابق ،ص 486 .

[158] عبد الهادي الشهري استراتيجيات الخطاب ص 486 ، 487 .

فالوصف مجرم هو اسم فاعل مِن فعل رُباعي ، لم يستعمله الناس لمجرد الوصف بل يُحاجِجون به الآخرين ، حتى ينال العقاب المناسب المُقنَّن في العُرف الدُّوَلي .

3)- اسم المفعول :

ويصنف على انه من الأوصاف الحجاجية المستعملة ، وهو اسم مشتق يدل على معنى مجرّد غير دائم ، و على الذي وقع عليه هذا المعنى ، ومثال ذلك :

- أنا مظلوم أنصفوني .

- إذ وضع نفسه في مرتبة معينة تستدعي طلبه الإنصاف من الآخرين ، و لو كان في مرتبة غيرها ، بأنه كان ظالما مثلا ، فلن يحِقّ له هذا الطلب [159] .

4)- تحصيل الحاصل :

هناك من يعدّ بعض الخطابات مجرد حشو أو تحصيل حاصل لا تقدم شيئا في الخطاب والحق أن كل جزء من الخطاب يضطلع بدلالته الحجاجية .

و يمثل هذا الضرب بعض التنوعات الحجاجية و الصور الخطابية ، فمن التنوعات الحجاجية التي تمثل هذا الضرب الخطابي ما يسمى بالتمثيل ، و يتجسد من خلال تعدّد التعاريف رغم وحدة المعرَّف[160].

و بهذا يمكن أن يكون الحجاج بأي من هذه الحدود ، بوصفها تعاريف مختلفة أو طبقات متفاوتة لذات واحدة .

أو من مظاهر الحجاج بالحشو ما يأتي عبر اسم مُبْهَم ينتمي إلى صنف الإشاريات و ذلك بضمير الغائب (هو) كما الخطاب التالي :

- الطفلُ هو الطفلُ

[159] المرجع السابق ص 488 ، 489 .

[160] عبد الهادي بن ضافر الشهري استراتيجيات الخطاب ص 488 - 489 .

- الحقُ هو الحقُ

" وعليه فليس هناك تكرار أو ترادف في الحجاج ، إذ قلما يخلو اختيار اللفظ عند التعبير عن فكرة المرسل من دلالته على الحجاج[161].

4- الروابط و العوامل الحجاجية :

قبل أن ننتقل إلى التقنية الثانية للحجاج ينبغي أن نشير إلى التمييز الحاصل بين الروابط والعوامل الحجاجية ، و لا بأس أن ننوه قبل ذلك " إنه لما كان للغة وظيفة حجاجية ، وكانت التسلسلات الخطابية محددة بواسطة بنية الأقوال اللغوية و بواسطة أصناف الكلام ، التي يتم تشغيلها ، فقد اشتملت اللغات الطبيعية على أدوات لغوية خاصة بالحجاج ، فاللغة العربية مثلا : تشتمل على عدد كبير من الأدوات و الروابط و العوامل الحجاجية التي لا يمكن تعريفها إلا بالإحالة على قيمتها الحجاجية داخل الخطاب .

نذكر من هذه الأدوات " ألفاظ التعليل (الاسمية و الحرفية) و الإضراب و الاستدراك و النفي والقصر و الحصر ...الخ ، مثل : لكنْ ، حتّى ، إذن ، لا سيما ، إذْ، لأنَّ ، بما أنَّ ، ربَّما ، تقريبا إنما ، ما ... إلَّا .....الخ ، و منها الصيغ الصرفية ، مثل : صفة التفضيل وصيغ المبالغة "[162].

و عليه فتعتبر " الروابط الحجاجية موضوعا أساسيا في تحديد بنية الاقتضاء لكونها آلية هامة في عملية الربط داخل النسق المَقُول ، كما تُسهِم مرجعيتها في تقسيم أطراف الكلام بين مقول منطوق، ومقتضى مسكوت عنه ، إضافة إلى أن دورها في العملية الحجاجية يتصل بشكل مباشر ببنية الاقتضاء حين سَعْيِها إلى توجيه العمل و ترتيب قضاياه .

وقد و سع ديكرو و ظيفة الروابط الحجاجية ، فلم تعد منحصرة في وظيفة الأغراض اللغوية ، بل تؤدي أيضا أغراض استدلالية حجاجية ،إضافة إلى و ضيفتها الرابطة [163] .

---

[161] المرجع السابق ص 492 ، 493 .

[162] مسعود صحراوي : التداولية عند العلماء العرب ،دار التنوير للنشر و التوزيع ، حسين داي - الجزائر ط1 ، 1429 هـ - 2008 م ،ص 68.

[163] حافظ إسماعيلي : الحجاج مفهومه ومجالاته ، ص 296.

و يمكن أن نميّز بين صنفين من هذه الأدوات الحجاجية :

أولا : العوامل الحجاجية Les Operateurs:

" هي عناصر لغوية إسنادية نحوية أو معجمية ، تربط بين مكونات القول الواحد ، كالحصر

والنفي و الشرط ...ووظيفتها هي حصر الإمكانات الحجاجية ، لمحتوى الملفوظات و تحويلها فدورها ليس الربط بل الأقوال[164].

و بعبارة أخرى : " هي لا تربط بين متغيرات حجاجية أي : بين حجة و نتيجة أو بين مجموعة حُجَج ، ولكنها تقوم بحصر و تقييد الإمكانات الحجاجية لقول ما، و هذه الأدوات من قبيل : ربّما ، تقريبا ، كاد ، قليلا ، كثيرا ، ما ... إلاّ ، و جلّ أدوات القصر "[165].

و قد تناول ديكرو مفهوم العامل الحجاجي في دراساته ، و يمكن توضيحه بالمثالين الآتيين :

- الساعة تشير إلى الثامنة ، أسرع.

- لا تشير الساعة إلاّ إلى الثامنة.

فعندما أدخلنا على المثال الأول أداة القصر "لا...إلا " وهي عامل حجاجي لم ينتج عن ذلك أي اختلاف بين المثالين بخصوص القيمة الإخبارية أو المحتوى الإعلامي ، ولكن الذي تأثر بهذا التعديل ،هو القيمة الإخبارية للقول ،أي : الإمكانات الحجاجية التي يتيحها .

فإذا أخذنا القولين الآتيين :

- الساعة تشير إلى الثامنة ، أسرع .

- لا تشير الساعة إلاّ إلى الثامنة ، أسرع .

فسنلاحظ أن القول الأول سليم ، ومقبول تماما ، فستجد له إمكانيات حجاجية كثيرة فقد يخدم هذا القول نتائج من قبيل : الدّعوة إلى الإسراع ، التّأخر ، هناك متّسع مِنَ الوقت.

---

[164] عبد اللطيف عادل : بلاغة الإقناع في المناظرة ،ص 100.
[165] أبو بكر العزاوي: اللغة و الحجاج ،ص 27.

أما القول الثاني فيبدو غريبا ، لأن دخول العامل الحجاجي عليه " لا ....إلا فإن إمكاناته قد تقلّصت و نقصت كقولنا :

لا تشير الساعة إلا إلى الثامنة ، لا داعي للإسراع .[166]

ثانيا : الروابط الحجاجية Les Connecteurs :

هي مكونات لغوية تداولية تربط بين قولين أو أكثر ، داخلين في استراتيجية حجاجية واحدة بحيث تسمح بالربط بين المتغيرات الحجاجية (بين حجة و نتيجة ، أو بين مجموعة من الحجج).

وعموما فإن العلاقة بين الحجة و النتيجة ليست اعتباطية ، بل هي ناجمة عن توجيه تحكمه المشيرات اللغوية الحجاجية [167].

و يمكن توضيح هذا الرابط الحجاجي من خلال المثال التالي :

- زيد مجتهد ، إذن سينجح في الامتحان .

نرى أنه يشتمل على حجّة هي (زيد مجتهد) و نتيجة مستنتجة منها (سينجح) و هناك الرابط (إذن) الذي يربط بينهما .

ونميز بين أنماط عديدة من الروابط :

أ)- الروابط المُدرجَة للحُجَج مثل :لكن ، حتى ، بل ،مع ذلك ، لأن.....الخ.

ب)- الروابط المُدرجَة للنتائج مثل : إذن ، لهذا ، و بالتالي .....الخ.

ج)- الروابط التي تُدرج حُجَجا قوية مثل : حتى ، بل ، لكن ، لا سيما ، و الروابط التي تدرج حججا ضعيفة.

[166] المرجع السابق ص 28 ، 29 .
[167] عبد اللطيف عادل : بلاغة الاقناع في المناظرة ، ص 100 .

د)- روابط التّعارض الحِجاجي مثل : بلْ ، لكِنْ ، معَ ذَلِكَ ....الخ ، وروابط التّساوق الحِجاجي (حتى ، لا سيما)[168]

5- المبادئ الحجاجية topoï argumentatifs :

إن وجود الروابط و العوامل الحجاجية لا يكفي لضمان سلامة العملية الحجاجية ، و لا يكفي أيضا لقيام العلاقة الحجاجية ، بل لابد من ضامن يضمن الربط بين الحجة و النتيجة ، هذا الضامن هو ما يعرف بالمبادئ الحجاجية و لها خصائص عديدة نذكر منها ما يلي :

أ)- إنها مجموعة من المعتقدات و الأفكار المشتركة بين الأفراد داخل مجموعة بشرية معينة .

ب)- العمومية : فهي تصلح لعدد كبير من السياقات المختلفة و المتنوعة .

ج)- التَّدرُّجية Gradualité: إنها تقيم علاقة بين محمولين تدريجيين أو بين سلمين حجاجيين (العمل ، النجاح) مثلا .

د)- النسبية : فإلى جانب السياقات التي يتم فيها تشغيل مبدأ حجاجي ما ، هناك إمكان إبطاله ورفض تطبيقه باعتباره غير وارد و غير ملائم للسياق المقصود أو يتم إبطاله باعتماد مبدأ حجاجي آخر مناقض له[169].

و إذا نظرنا إلى المثالين التاليين :

1)- أنا متعب، إذن أنا بحاجة إلى الراحة .

2)- سينجح زيد لأنه مجتهد.

---

168 أبو بكر العزاوي اللغة و الحجاج ص 27.

169 حافظ إسماعيلي : الحجاج مفهومه ومجالاته ، ص 66.

فسنقول إن المبدأ الحجاجي الموظَّف في الجملة الأولى ، هو بقدر تعب الإنسان تكون حاجته إلى الراحة و يشتمل المثال الثاني على مبدأ حجاجي من قبيل : (الاجتهاد يؤدي إلى النجاح) أو (تكون فرص نجاح الإنسان بقدر عمله و اجتهاده).

" إذن فالمبادئ الحجاجية هي مجموعة من المسلمات و الأفكار و المعتقدات المشتركة بين أفراد مجموعة لغوية و بشرية معينة ، و الكل يسلم بصدقها و صحتها ، و بعض هذه المبادئ يرتبط بمجال القيم و الأخلاق [170] .

6- الآليات البلاغية :

وهي وسائط لغوية لكنها تعكس تصورا و طريقة تعامل خاصة من المخاطِب مع المضمون بُغية تبليغه بنفس درجته و نوعيته للمتلقي ، و أبرز ما يتجلى ذلك من الاستقصاء و التقسيم والتمثيل و غيرها ، و من ذلك كذلك ، تقسيم الكل إلى أجزائه ،و الاستعارة و البديع ، و نعني بها كذلك " ما يمكن توظيفه من طرق في الدلالة على صدقية الكلام ، و تحقيق المضمون الخطابي باستعمال ألوان بلاغية " [171] .

أ)- تقسيم الكل إلى أجزائه :

قد يذكر المرسل حجته كليا في أول الأمر، ثم يعود إلى تنفيذها و تعداد أجزائها ، إن كانت ذات أجزاء ، و ذلك ليحافظ على قوتها الحجاجية ، فكل جزء منها بمثابة دليل على دعواه .

ب)- الاستعارة Métaphore:

" قد تعلو الاستعارة استعمال ألفاظ الحقيقة ، و ذلك لأنه لا يفضل المرسل استعمالها ، إلا لثقته بأنها أبلغ من الحقيقة حِجاجيا ، و هذا ما يرجِّح تصنيفها ضمن أدوات السُّلّم الحِجاجي أيضا إذ تُعرّف الاستعارة الحجاجية بكونها ، تلك الاستعارة التي تهدف إلى إحداث تغيير في الموقف الفكري أو العاطفي للمتلقي ، وهو ما يود المرسل تحقيقه .

---

[170] المرجع السابق ص 67 .

[171] نواري سعودي أبو زيد : ممارسات في النقد و اللسانيات ،ص 132 - 162 .

قال عروة بن الورد :

ثَعالِبٌ في الحَرْبِ العَوَان ، فإن تبُخْ و تنفرِج الجُلى ، فإنّهُم الأُسُدُ

فاستعارات عروة هي استعارات حجاجية ، لأنه يصف قومه في حالتي الحرب و السِّلم بأنهم ذات دهاء و حيلة في الحرب ، و الحرص مع الشجاعة في السِّلم ، و بالتالي اختار مُستعارا منه يجسِّد هذه الصفات ، فأورده بلفظه في خطابه .

و بهذا يمكن القول : " إن قوة الحجاج في المفردات تبدو في الاستعمالات الاستعارية أقوى مما نحسه عند استخدامنا لنفس المفردة بالمعنى الحقيقي [172] .

"وتكمن فعالية الاستعارة في التناسب مع ما يقتضيه السياق إذ تمثل الاستعارة أبلغ وأقوى الآليات اللغوية رغم اكتناف السياق لكثير من العناصر.

ويظهر التوجه العملي للاستعارة في ارتكازها على المستعار منه إذ تكون الاستعارة بذلك أدعى من الحقيقة لتحريك همة المرسل إليه إلى الاقتناع إذ يهدف إلى تغيير المقاييس التي يعتمدها المرسل إليه في تقويم الواقع والسلوك وأن يتعرف على ذلك من المرسل ليكون سبب القبول والتسليم وليست التخييل أو الصنعة اللفظية[173].

وخلاصة الأمر أن الاستعارة من الوسائل اللغوية التي يستغلها المتكلم للوصول إلى أهدافه الحجاجية .

ج)-التمثيل:

هو عقد الصلة بين صورتين ليتمكن المرسل من الاحتجاج وبيان حججه وقد عقد الجرجاني فصلا في مواقع التمثيل وتأثيره لأنه مما اتفق عليه العقلاء أن التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني أو برزت هي باختصار في معرضه ونقلت عن صورها الأصلية إلى صورته كساها

[172] عبد الهادي بن ضافر الشهري : استراتيجيات الخطاب ،ص 495 .

[173] المرجع نفسه ،ص 496 .

أبهة (...) فإن كان مدحا كان أبهى وأفخم (...) وإن كان حجاجا كان برهانه أنور وسلطانه أقهر وبيانه أبهر "[174].

د- البديع:

" يستعمل المرسل أشكالا لغوية تصنّف بأنها أشكال تنتمي إلى المستوى البديعي إذ أن لها دورا حجاجيا لا على سبيل زخرفة الخطاب ،ولكن بهدف الإقناع وبلوغ الأثر مَبلغه الأبعد .

والبلاغة العربية مليئة بهذه الصور والإمكانات ومليئة بالشواهد التي تثبت أن الحجاج من وظائفها الرئيسية وليس وجودها على سبيل الصنعة في أصلها ، ومما يدل على عناية العرب بآليات البديع ووعيهم بدورها الحجاجي و هذا ما نجده في كثير من الأحداث والقصص خاصة في مجال القضاء و الاحتكامات حيث يستعملون السجع والطباق والمقابلة ..... الخ" [175] .

يلاحظ أن العرب عملوا جيدا بدور آليات البديع الحجاجي فاستعملوه في أبهى حلة وأحسن صورة .كما يلاحظ أيضا أن الصورة البلاغية إذا أحدثت تغييرا في الرؤية وحصل ما كان يرمي إليه المرسل تعتبر ذات قيمة حجاجية والعكس بالتمام .

"وإجمالا فهناك أدوات كثيرة وآليات متعددة تسهم في بناء الخطاب حِجاجيا بما يتناسب مع السياق ، فيختار المرسل ما يفي بقصده ويحقق هدفه الاقناعي[176].

7- **آليات شبه منطقية:** وهي وإن كانت من طبيعة لغوية إلا أنها تمثيل للبنى العقلية وطريقة استعراض المنطق للقضايا التي يتم التواصل بشأنها وأبرز ما يمثله السُّلّم الحجاجي بما يندرج تحته كالروابط الحجاجية، ودرجات التوكيد التي تعكس موقف المخاطب من المضمون القضوي[177].

---

[174] عبد الهادي بن ضافر الشهري استراتيجيات الخطاب ، ص 497 .
[175] المرجع نفسه ،ص 497 - 498 .
[176] المرجع نفسه ، ص 499 .
[177] نواري سعودي أبو زيد : ممارسات في النقد و اللسانيات ص 132 .

8- السلم الحجاجي :

السلم الحجاجي " عبارة عن مجموعة غير فارغة من الأقوال ومزودة بعلاقة ترتيبية ومُوفِية بالشرطين التاليين :

أ)- كل قول يقع في مرتبة ما من السلم يلزم عنه ما يقع تحته ، بحيث تلزم عن القول الموجود في الطرف الأعلى جميع الأقوال التي دونه .

ب)- كل قول كان في السلم دليلا على مدلول معين كان ما يعلوه مرتبة دليلا أقوى عليه "[178]

فالسلم الحجاجي هو علاقة ترتيبية للحُجَج باعتبار وجهتها وقوّتها الحِجاجية وهكذا فالجمل الآتية :

1- أكرمَ زيدٌ أخاه.

2- أكرمَ زيدٌ صديقه.

3- أكرم زيدٌ عدَّوه.

نستدل بها على نتيجة واحدة هي : زيدٌ من أنْبَلِ الناس خلُقا .

ولما كانت هذه الجمل تستلزم نتيجة واحدة فإنها قد استحقت أن تدخل في مجموعة تدليلية واحدة تسمى بالفئة الحجاجية "إلا أن هذه الحجج تتفاوت في قوتها الحجاجية بحيث يعلو بعضها على بعض مُنشئة بذلك ما يدْعى ب "السُّلَّم الحِجاجي " ،ولهذا فالجملة الثالثة أقوى حجّة على النّبل الخُلُقي لزيد من الجملتين الأولى والثانية ،وهو ما يبينه الرسم الآتي :

النتيجة : زيد من أنبل الناس خُلُقا.

3- أكرم زيد عدوه

2- أكرم زيد صديقه.

1-أكرم زيد أخاه .

[178] طه عبد الرحمان : اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي ، ص 277.

يلزم عن هذا الترتيب الخاصيتين الآتيتين:

- أن الجملة (3) يلزم عنها الجملة (2) التي يلزم عنها بدورها الجملة (1).

- أنّ الجملة (3) تمتلك قوة حجاجية أعلى وأقوى مما هو تحتها من الجمل .

- **قوانين السُّلّم الحجاجي :**

"وأهم هذه القوانين ثلاثة :

1- قانون النفي :

- إذا كان قول ما "أ" مستخدما من قبل متكلم ما ليخدم نتيجة معينة فإنّ نفيه (أي ~أ) سيكون حجّة لصالح النتيجة المضادة "

وبعبارة أخرى فإذا كان "أ" ينتمي إلى الفئة الحجاجية بواسطة "ن" فإن "~أ" ينتمي إلى الفئة الحجاجية المحددة بواسطة "لا-ن" ويمكن أن نمثل لهذا بالمثاليين التاليين :

- زيد مجتهد، لقد نجح في الامتحان .

- زيد ليس مجتهدا، إنه لم ينجح في الامتحان.

فإذا قبلنا الحجاج الوارد في المثال الأول وجب أن نقبل كذلك الحجاج الوارد في المثال الثاني[179].

2- قانون القلب :

" يرتبط هذا القانون أيضا بالنفي ،ويُعدُّ تتميما للقانون و مَفادُ هذا القانون أنّ السُّلّم الحِجاجي للأقوال المنْفية هو عكس سُلَّم الأقوال الإثباتية ، وبعبارة أخرى إذا كان ('أ) أقوى من (أ) بالقياس إلى النتيجة "ن" فإن (~'أ) هو أقوى من (~أ) بالقياس إلى "لا-ن" ويمكن التعبير عن هذه الفكرة بصيغة أخرى فنقول:

[179] أبو بكر العزاوي : اللغة و الحجاج ، ص 22.

إذا كانت إحدى الحجّتين أقوى من الأخرى في التدليل على نتيجة معينة فإن نقيض الحجّة الثانية أقوى من نقيض الحجة الأولى في التّدليل على النتيجة المُضادة ويُمكن أنْ نرمز لهذا بواسطة السُّلَّميْن الحِجاجِيين التاليين :

" ولنُوضِّح هذا بالمثالين التاليين :

-حصَل زيدٌ على الماجستير ، وحتّى الدكتوراه .

- لم يحصل زيد على الدكتوراه ،بل لم يحصل على الماجستير.

فحصول زيد على الدكتوراه أقوى دليل على مكانته العلمية من حصوله على الماجستير، في حين أن عدم حصوله على الماجستير هو الحجة الأقوى على عدم كفاءته من عدم حصوله على شهادة الدكتوراه.

وهذا يفسر أيضا لَحْن الجملتين التاليتين أو شذوذهما وغرابتهما على الأقل:

- حصل زيد على الدكتوراه، بل حصل على الماجستير.

- لم يحصل زيد على الماجستير، بل لم يحصل على الدكتوراه."[180]

[180] المرجع السابق، ص 23 –24 .

3- قانون الخفض Lois d`abaissement:

"يوضّح قانون الخفض الفكرة التي ترى أن النفي اللغوي الوصفي يكون مساويا للعبارة " moins que" فعندما نستعمل جملا من قبيل :

-الجو ليس باردا.

- لم يحضر كثير من الأصدقاء إلى الحفل .

فنحن نستبعد التأويلات التي ترى أن البرد قارص وشديد (المثال الأول) ، وأن الأصدقاء كلهم حضروا إلى الحفل (المثال الثاني) ، وسيؤول القول الأول على النحو التالي :

إذا لم يكن الجوُّ باردا، فهو دافئ أو حار.

وسيؤول القول الثاني كما يلي :

لم يحضر إلاّ القليل منهم إلى الحفل.

وتتجلّى صعوبة صياغة هذه الوقائع في أنَّ الخفْض الذي يُنتِج عن النَّفي لا يتمَوْقَع في السُّلَّم الحِجاجي ، ولا يتَموْقع أيضا في سُلَّمية تدريجية موضوعية يمكن تعريفها بواسطة معايير فيزيائية ، فلا تندرج الأقوال الاثباتية (من نمط الجو بارد) والأقوال المنفية (من نمط الجو ليس باردا) في الفئة الحجاجية نفسها ، ولا في السُّلّم الحِجاجي نفسه .

ومع ذلك فقد اقترح أحد المناطقة المعاصرين صياغة تقريبية لهذا القانون نُورِدها كما يلي :

"إذا صدق القول في مراتب معينة من السلم، فان نقيضه يصدق في المراتب التي تقع تحتها"[181]

يعني هذا أنَّ القيمة الحِجاجية لصِدْق القول أو نقيضه يتمُّ تحديدها بواسطة الاتجاه الحِجاجي الذي يمثلها السُّلَّم الحِجاجي .

[181] أبو بكر العزاوي : اللغة و الحجاج ،ص 24- 25 .

2- الحجاج عند العَرَب المُحْدَثين :

جاء في تفسير الطاهر بن عاشور للآية في قوله تعالى :

(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ) سورة البقرة الآية 258

معنى حَاجَّ خاصَم ،وهو فِعل جاء على زِنَة المُفاعَلة ولا يُعرَف لِحَاجَّ في الاستعمال فِعل مجرَّد دالّ على وقوع الخِصام ، ولا تُعرَف المادّة التي اشتُقّ منها ، ومن العجيب أنّ الحُجَّة في كلام العرب البُرهان ، المصدِّق للدَّعوى مع أنّ حَاجَّ لا يُستعمَل غالبا إلاّ في معنى المُخاصَمة ، وأنَّ الأغلب أنّه يفيد الخِصام بباطل "[182]

فمعنى حَاجَّ بالنسبة إليه هو خَاصَمَ وهي في الحِجاج قائمة على الباطل لا على الحقّ .

.وقال في معنى الجدل عند تفسيره الآية :

(وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ) سورة النساء الآية 107

والمُجادَلة مُفاعَلَة من الجَدَل وهو القُدْرة على الخِصام والحُجَّة فيه وهي مُنازعةٌ بالقول لإقناع الغير برأيك[183]

فمعنى المُجادلَة أو الجَدَل عنده هو القُدْرة على الخِصام و الحُجَّة فيه.

وقسَّم الجَدل إلى قِسمين : الجَدل الذي أُريد به الخير أو الحقّ وهو ما يُسمّى بالجَدل المحمودة والجدل الذي أُريد به الباطل وهو ما يسمّى بالجَدل المذموم ، أمّا الجدل ما هو حقّ كقوله تعالى :

(وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) سورة النحل الآية 125 ومنه ما هو باطل كقوله تعالى :(وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا) سورة النساء الآية 107

[182] محمد الطاهر بن عاشور : التحرير و التنوير ،الدار الجماهرية للنشر و التوزيع و الإعلان ، تونس ، د ت ج3 ، ص 31-32

[183] نفسه ، ج 5 ،ص 194 .

فالطاهر بن عاشور يتبنّى التّفريق بين اللفظين في الحُمولة المعنوية لكِلَيْهما يمكن أنْ نوضّحه على الشكل الآتي :

1)- حَاجَّ ← - المُخاصَمة ولا تكون إلّاَ بالباطل

2)- الجَدَل ← - الجَدَل الذي أُريد به الحقّ(المحمود)

- الجَدَل الذي أُريد به الباطل (المذموم).

2-1- الحجاج عند طه عبد الرحمان :

لقد تميزت نظرة طه عبد الرحمان للحجاج بطابع فلسفي لكونه أستاذ المنطق وفلسفة اللغة وتميَّز بعدّة اجتهادات مكّنته من المُزاوجة بين القديم العربي والحديث الغربي .

ولقد قام بوضع باب كامل في كتابة "اللسان والميزان أو التكوثر العقلي" سمّاه الخطاب والحِجاج تناول فيه مفهوم الحِجاج وحدّد أنواعه الثلاثة كما حدّد لكل نوع منها نموذجه التّواصلي المناسب له .

ولقد عرّف طه عبد الرحمان الحِجاج انطلاقا من كونه أساسا في الخطاب وينبني على قصدين أساسيين هما "قصد الادعاء" و"قصد الاعتراض " .

"أمّا قصد الادعاء فمقتضاه أنَّ المنطوق به لا يكون خِطابا حقًّا حتىّ يحصل من النّاطق صريح الاعتقاد لما يقول من نفسه وتمام الاستعداد لإقامة الدّليل عليه عند الضرورة ذلك لأنَّ الخلوُّ عن الاعتقاد يجعل النّاطق إمّا ناقلا لقول غيره فلا يلزمُه اعتقاده وإمّا كاذبا في قوله فيكون عابثا باعتقاد غيره .

وأما قصد الاعتراض فمقتضاه أنَّ المنطوق به لا يكون خِطابا حقّا حتّى يكون للمنطوق له حقّ مُطالبة النّاطق بالدّليل على ما يدَّعيه [184]أي: أنّ قصد الاعتراض يكون من المخاطِب أو المنطوق له .

[184] طه عبد الرحمان : اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي ، ص 225 .

" وإذا تقرّر أن كل منطوق به يتوقف وصفه ب "الخطاب" على أن يقترن بقصد مزدوج يتمثل في تحصيل النّاطق لقصد الادّعاء وتحصيل المنطوق له لقصد "الاعتراض" أيْ : يصحُّ أنْ يكون المنطوق به خِطابا حقّا أنْ يتوفَّر على الادِّعاء والاعتراض[185] .

ويعرّف الحجاج بقوله :"إذ حدّ الحجاج أنه كل منطـوق به موجّــه إلى الغيــر لإفهامه دعوى مخصوصة يحقّ له الاعتراض عليها "[186].

وهكذا يتّضح " أنّ حقيقة الخِطاب ليستْ هي مجرد الدُّخول في علاقة مع الغير وإنّما هي الدُّخول معه فيها على مقتضى الادِّعاء والاعتراض بمعنى : أنّ الـذي يحـدّدُ مــاهيــة الخِطاب إنّمــا هو "العلاقة الاستدلالية " وليست العلاقة التخاطبية وحدها : فلا خطاب بغير حِجاج ولا مخاطِب من غير أنْ تكون له وظيفة " المُدّعي" ولا مخاطَب من غير أن تكون له وظيفة المعترِض"

يُفهم من هذا الكلام أنَّ الحِجاج هو الأصل في الخطاب فلا خطاب من غير حجاج ولا ناطق ولا منطوق له من غير أن يتوفر على مبدأين :الادِّعاء للأول والاعتراض للثّاني .

كما قام طه عبد الرحمن بوضع أنواع للحِجاج حصرها في ثلاثة :

1- الحجاج التجريدي : هو الإتيان بالدَّليل على الدَّعوى أيْ : أنْ يأتيَ النّاطق بأدلّة على صِدق دعواه .

2- الحجاج التوجيهي: هو إقامة الدليل على الدّعوى بالبناء على فعل التّوجيه الذي يختص به المُستدِل ّعلما بأنّ التوجيه هو هنا فعل إيصال المُستدِلّ لحُجَّته إلى غيره .

يُفهم من هذا أنَّ الحُجّة مبنية على التَوجيه التي تصدُرُ مِنَ النَّاطق المُستدَّل.

3- الحجاج التقويمي : والمقصود به هو إثبات الدَّعوى بالاستناد إلى قدْرَة المستدِّل على أنْ

[185] المرجع نفسه ، ص 226 .
[186] المرجع نفسه ، ص 226 .

يجرّد من نفسه ذاتا ثانية يُنْزلها مَنْزلة المُعترِض على دعواه ."[187]

أيْ أنَّ: " المستدِلّ يتعاطى لتقويم دليله بإقامة حوار حقيقي بينه وبين نفسه " مُراعيا فيه كل مستلزماته التّخاطبية من قيود تواصلية وحدود تعاملية " [188]

وهكذا فإنّ المستدِلّ يكون مدَّعيا ويكون مُعْترِضا في نفس الوقت يدَّعي ثم يحاول أنْ يعْترِض لنفسه كأنّه مع مخاطب آخر أو منطوق له آخر.

لقد قام طه عبد الرحمن بتفريق الحجاج عن البرهان بقوله :"إن الحجاج يجتمع فيه اعتباران اثنان لا يجتمعان ألبتَّة في البُرهان وهذان الاعتباران هما :" اعتبار الواقع " و "اعتبـار القيمة " فـإذا كان البرهان ينبني على مبدأ الاستدلال على حقائق الأشياء للعلم بها فإنَّ الحِجاج ينبني على مـبدأ الاستدلال على حقائق الأشياء مجتمعة إلى مقاصدها للعلم بالحقائق والعمل بالمقاصد بمعنـــى أنَّ الحجاج يزدوج فيه طلب معرفة الواقع وطلب الاشتغال بقيمته وقد توافق قيمة المستدل عليه واقعه فتُصادف مقْتضياتُه الحِجاجية مُقتضَياتُه البُرهانيّة وقدْ تخالفها "[189]

كما قام بتصنيف أنواع الحُجَج وركَّز على السُّلّم الحِجاجي وقوانينه الثلاثة معتبرا إيّاه الأساس في العملية الحِجاجِية.

وقد عرَّف طه عبد الرحمان السُّلّم الحِجاجي بأنّه :" عبارة عن مجموعة غير فارغة من الأقوال مُزوَّدة بعلاقة ترْتيبيَّة ومُوفِيَة بالشّرطين التّاليين :

أ)- كل قولٍ يقع في مرتبة ما مِنَ السُّلم يَلزَم عنه ما يقع تحته بحيث تلزم عن القول الموجود في الطَّرف الأعْلى جميع الأقوال الّتي دونَه .

ب)- كل قول كان في السُّلّم دليلا على مدلول معيّن كان ما يعلوه مرتبة دليلا أقوى عليه أما قوانينه الثلاثة فيعرِّف القانون الأول ويسمِّيه بقانون الخفض ومقتضاه " أنه إذا صدق القول في

[187] المرجع نفسه ،ص 228.
[188] المرجع نفسه ، ص 228 .
[189] المرجع نفسه ، ص 230 .

مراتب معينة من السُلَّم فإن نقيضه يصدق في المراتب التي تقع تحتها "[190]

وأمّا القانون الثاني فيسمِّيه بقانون تبديل السُّلّم ومقتضاه " أنه إذا كان القول دليلا على مدلول معين فان نقيض هذا القول دليل على نقيض مدلوله "[191]

وأما القانون الثالث فيسمّيه طه عبد الرحمان بقانون القلب ومقتضاه:" أنه إذا كان أحد القولين أقوى من الآخر في التّدليل على مدلول معيّن فإنّ نقيض الثاني أقوى من نقيض الأول في التدليل على نقيض المدلول "[192].

كما قام بدراسة المجاز من وجهة حجاجية يتبين ذلك من قوله :" إن حقيقة المجاز ليست هي مجرد الدخول في علاقة استدلالية وإنما هي الدخول فيها على مقتضى المجاز بمعنى أنّ الذي يحدّد ماهية الحجاج إنما هو العلاقة المجازية وليس العلاقة الاستدلالية وحدها فلا حجاج بغير مجاز "[193].

كما بين أن العلاقة المجازية بانية لحقيقة الحجاج ومن ذلك الاستعارة التي احتلت جزءا هاما في دراسته للحجاج محاولا تأصيلها باعتبار أن الاستعارة قوة حجاجية عالية في الكلام وعندما نوظفها في الخطاب والحوار فإنها تكسب كلامُنا قوة حجاجية وتأثيرية كبيرة .

كما أنه عرّف الحِجاج في كتابه " في أصول الحوار وتجديد علم الكلام " بقوله: وحدُّ الحِجاج أنّه فعّالية تداولية جدلية "[194]

---

[190] طه عبد الرحمان ، اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي ، ص 277 .
[191] المرجع نفسه ، ص 278 .
[192] المرجع نفسه ، ص 278 .

[193] المرجع نفسه ، ص232 .
[194] طه عبد الرحمان :في أصول الحوار و تجديد علم الكلام ،المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ،بيروت ط2، 2000م، ص 65 .

ولقد أورد كذلك ميزة أخرى للحجاج وهي الحوارية وقد وضعها في مراتب ثلاث (الحوار المحاورة، التحاور).وهذا ما يوضحه الجدول التالي :[195]

	المنهج الاستدلالي	**الآلية الخطابية**	**البنية المعرفية**	**النموذج النظري**	**الشاهد النصي**
الحوار Dialogue	**البرهان** Démonstration	**العرض**	**النظر**	نموذج البلاغ نموذج الصِّدق	الحوار الحقيقي (العلمي) الحوار الشبيهي (الفلسفي)
المحاورة	**الحجاج** Argumentation	**الاعتراض**	**المناظرة**	نموذج الإبلاغ نموذج القصد	المحاورة القريبة (المناظرة) المحاور البعيدة (التناص)
التحاور	**التّحاج**	**التعارض** Opposition	التناظر	نموذج التبليغ نموذج التفاعل	التناظر الرأسي التّناظر الأفقي

[195] المرجع نفسه ، ص 57.

2-2- الحجاج عند محمد العمري:

لقد امتازت نظرة محمد العمري للحجاج بنظرة إقناعية ويعود هذا الانحياز الفكري إلى تأثره بفلاسفة اليونان (أرسطو، أفلاطون) وقد سمّى الحِجاج بالخِطاب الإقناعي حيث اعتمد على الأُسُس الأرسطية لبلاغة الخِطاب خاصَّة الحُجج الخِطابية التي يربطها بالإقناع كل هذا نجده واضحا في كتابه: " في بلاغة الخِطاب الإقناعي " إذ يقول : " لقد حمل أفلاطون في محاوراته على الخطابة لاهتمامها بالإقناع بدل البحث عن الحقيقة "[196]

ويقول في موضع آخر " وبدأ الحنين من جديد إلى " ريطورية " أرسطو التي تتوسّل إلى الإقناع في كلّ حالة على حِدَة بوسائل متنوّعة حسْب الأحوال [197]

ويقول كذلك:" إنَّ البلاغة يمكنْ أنْ يُغيَّر جِلْدُها ولكنَّها لا تختفي إلاّ لتظهر في لباس جديد "[198]

وكما هو معلوم أن البلاغة الأرسطية هدفها هو الإقناع والتأثير في المستمع كما هو كذلك عند بلاغيو العرب الأوائل أن البلاغة غرضها الأساسي هو الإقناع والتأثير أكثر مما هو تنسيقي وزخرفي .

وعليه فإن الإقناع في نظر محمد العُمَري هو مقصد أساسي في الخطب والنصوص ذات المنزع التأثيري قد شكل نواة البحث الحجاجي والقلب الرابط بين البلاغة القديمة (الأرسطية وفي صيغتها العربية القديمة) والبلاغة الجديدة (نظريات الحجاج ، والتداولية ونظرية الأفعال الكلامية) فالإقناع هدف يتحقق عبر توسل أدوات وأساليب بلاغية "[199]

كما ركّز كذلك على "المقام الذي يتجلّى أكثر في الخِطابات السِّياسية التي يكثر فيها الحوار بين الأنداد وبين الحاكم والمحكوم حيث يتَّصف فيها النُصح والإرشاد والتّشاور والوعد والوعيد...

---

[196] محمد العمري : في بلاغة الخطاب الإقناعي ، مدخل نظري و تطبيقي لدراسة الخطابة العربية دار الثقافة الدار البيضاء ط1 1986ص 9 .

[197] المرجع نفسه ، ص 10 .

[198] حافظ إسماعيلي : الحجاج مفهومه و مجالاته ، ج1 ص23 .

[199] حافظ إسماعيلي : الحِجاج مفهومه و مجالاته ، ج2، ص135.

كما يتجلى كذلك في الخطابة الاجتماعية التي تحتوي على موضوعات اجتماعية تخص أحوال الناس والمجتمع بشكل عام وتتمثل هذه الخطابة في علاقات الناس الاجتماعية وأحوالهم الشخصية مثل : الأحزان، الأفراح ، الدعوة ، الإصلاحات والمُخاصمات القضائية كل هذه الخِطابات والأحوال تعتمد على الحُجَج القويّة والمتنوّعة والمُقنعة والأساليب التي يكون لها دور فعال في التأثير في أحوال الناس .

وهذه الآن أهم الحُجَج و البراهين من خلال هذا المخطّط المختصر الذي صاغه محمد العمري[200]

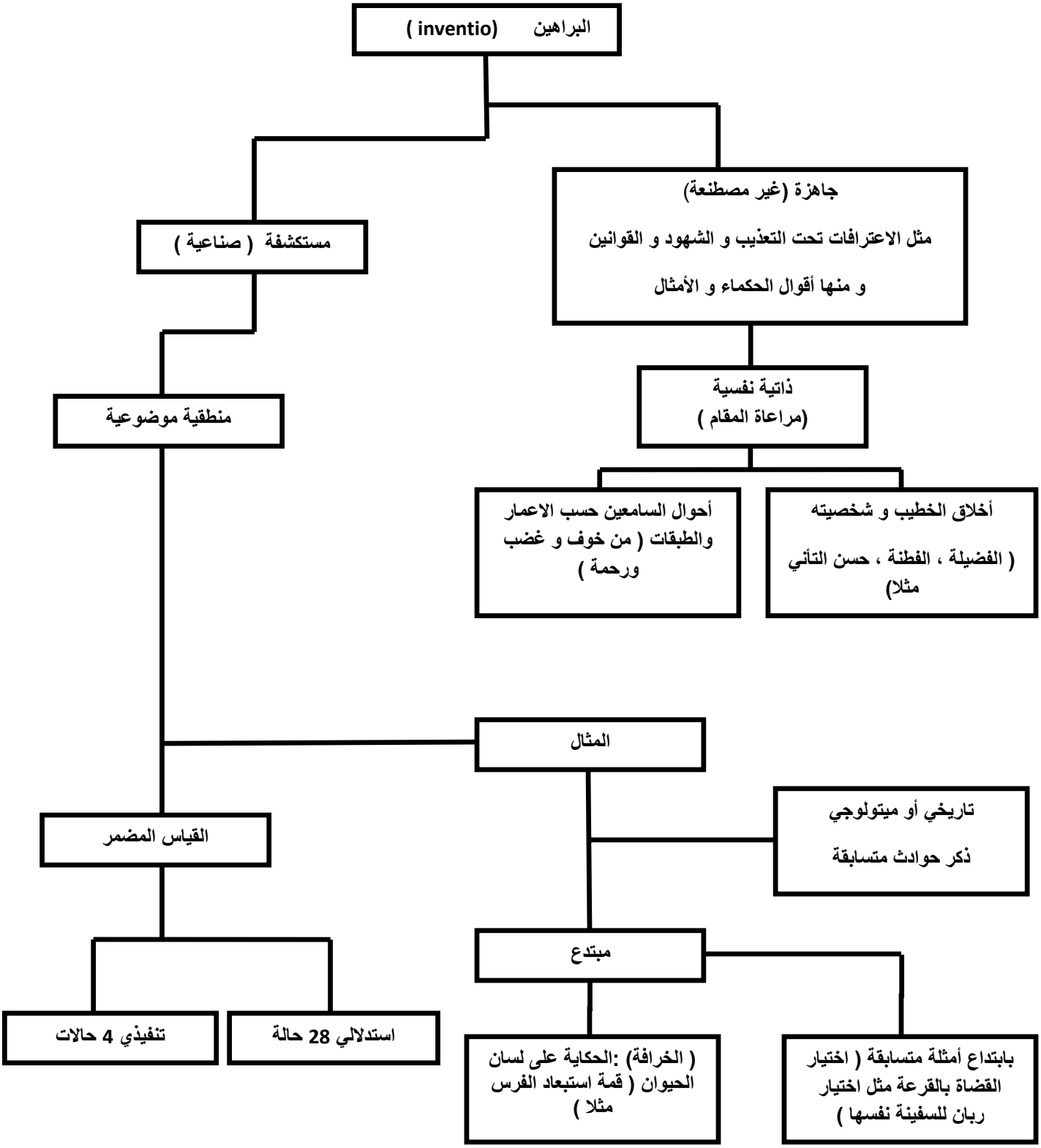

[200] محمد العمري : في بلاغة الخطاب الإقناعي – مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية – الخطابة فب القرن الأول أنموذجا ، ط2 البيضاء ،إفريقيا الشرق ،2002 م ،ص 27 .

3-2- الحجاج عند أبي بكر العزاوي :

يعتبر أبو بكر العزاوي صاحب الإنجازات الجديدة المرتبطة باللغات الطبيعية وخصائصها وخاصة القضايا المتعلقة بالحجاج وكل هذا نتيجة اطلاعه على مختلف النظريات الغربية وله عدة مؤلفات متعلقة بالحجاج منها الكتب والمقالات ومن بين أهم كتبه "اللّغة والحِجاج" و"الخِطاب والحِجاج" والحِوار والحِجاج والاختلاف...

ففي كتاب "اللّغة والحِجاج "حاول أبو بكر العزّاوي "أن يدرس الحِجاج في مستوى اللّغة وقد انطلق من الفكرة الشّائعة التي مؤدّاها:" أننا نتكلم عامّة بقصد التّأثير و الإقناع " و أنّ اللغة الطبيعية تحمل بصفة ذاتية وجوهرية وظيفة حِجاجية أيْ : أنَّ هذه الوظيفة مؤشّر لها في بنية الأقوال والجمل نفسها بل وفي بنية اللّغة بوجه عام .

وقد خصّص أبو بكر العزّاوي الفصل الأوّل مِنْ هذا الكِتاب للتَعريف بنظرية الحِجاج في اللّغة والدلاليات الحجاجية ودرس في الفصل الثاني منه بعض الروابط الحجاجية العربية وهي "بل، لكن، حتى " و درس في الفصل الثالث الجوانب الحِجاجية للاستعارة من خلال مفاهيم السُّلّم الحِجاجي والإبطال والقوة الحِجاجية .

أما الفصل الرابع والأخير من الكتاب قد خصّه لإبراز سلطة الكلام وقوة الكلمات وعنْوَنَه ب: " اللغة بين الإنجاز والحِجاج " فالإنسان عندما يتكلّم فإنّه يمارس سلطة على الآخر و الكلام له قوّة تغييرية وتحويلية للواقع ، بمختلف أنماطه لا تُعادِلها أيَّ قوة " [201]

أما كتابة الثاني: "الخطاب والحجاج" فيدرس الحِجاج في مستوى الخطاب وهو امتداد للكتاب السّابق وتطوير له، ويريد أبو بكر من خلال فصول هذا الكتاب الذي درس في فصوله الأربعة الخطاب القرآني ، والخطاب الشعري ، والخطاب المِثْلي ، والخطاب البصري الإشهاري، أن يؤكِّد الحقيقة التّالية وهي:

إنَّ كل النصوص والخطابات التي تنجز بواسطة اللغة الطبيعية ،الحِجاجيَّةً ، لكن مظاهر الحِجاج وطبيعته ودرجته تختلف من نص إلى نص ومن خطاب إلى خطاب ،فليس مجال الحِجاج

[201] ينظر د. أبو بكر العزاوي : حوار حول الحجاج ، الأحمرية ، دار البيضاء ط1 2010 ص 35 – 36 .

هو القول أو الجملة ، و إنما مجالُه الحقيقي هو الخِطاب والحوار ، حيث تظهر وجوه استعماله وتتجلّى طرائق اشتغاله"[202]

كما بين أو بكر العزّاوي "أن هناك علاقة وثيقة بين الخِطاب والحِجاج حيث أنَّ كلَّ النّصوص والخِطابات التي تُنجز بواسطة اللّغة الطبيعية حجاجية .

فأما الحِجاج نجده في القصيدة الشِّعرية والمقالة الأدبية والخُطْبَة الدّينية والمُحاورَة اليومية واللاَّفتة الإشهارية و المفاوضات التّجارية والأطروحات الجامعية و المناظرات الفكرية والندوات العلمية والرواية والمسرحية والخطاب السياسي والنص البصري ومرافعة المحامي و غيره .

إذن كل النصوص والخِطابات حِجاجيَّة لكن مظاهر الحِجاج ودرجتُه أنها تختلف من نص إلى نص آخر فهناك فرق بين القصيدة الشِّعريَّة ذات البُعد الفنّي الجمالي ومرافعة المحامي ذات الطابع الدّفاعي القانوني .

فالخِطاب في نظر أبي بكر العزّاوي بتعبير حِجاجي هو :" مجموعة من الحُجج والنتائج التي تقوم بينها أنماط مختلفة من العلائق ، فالحُجَّة تستدعي الحُجَّة المؤيِّدة أو المضادَّة لها والدّليل يفضي إلى نتيجة والنتيجة تفضي إلى دليل آخر وكل قول يرتبط بالقول الذي يسبقه ويوجه القول الذي يتلوه ."[203]

و حينما درس " الخطاب الإشهاري والصّور الإشهارية تحدّث عن الحِجاج الأيقوني حتى يوسع إطار نظرية الحِجاج اللغوي وأنْ يطوِّرها حتّى تنطبق على النصوص والخِطابات بمختلف أنواعها بل وتنطبق على النص البصري وعلى الصور الإشهارية التي لا تشمل أيَّ مكوِّن لغوي ، بل تتضمّن مكونات أيقونية (رسوم ، ألوان ...) فقط .

ويرى أبو بكر العزاوي أنَّ نظرية الحِجاج ليست لها صلة بالبلاغة الكلاسيكية (أرسطو) أو البلاغة الحديثة (بيرلمان ، تيتيكا ، ميشال مييير ....) بل هذه النظرية تتعارض مع كثير من هذه النظريات والتصورات الحجاية الكلاسيكية .

---

[202] أبو بكر العزَّاوي : حوار حول الحجاج ، ص 36 .
[203] المرجع نفسه ،ص 37 .

ولقد انبثقت نظرية الحِجاج في اللّغة من داخل نظرية الأفعال اللّغوية التي وضع أسُسها أوستين وسورل ، وقدَّما أبحاثا حول مفهوم الأفعال اللغوية ، ثم قام ديكرو بتطوير أفكار وآراء أوستين بالخصوص منذ سنة 1973 .

وهذه النظرية اللسانية تهتم بالوسائل اللغوية وبإمكانية اللغات الطبيعة التي يتوفر عليها المتكلم وذلك بقصد توجيه خطابه وجهة ما ، تمكنه من تحقيق بعض الأهداف الحِجاجية ، ثم إنها تنطلق من الفكرة الشَّائعة التي مؤدَّاها :"أننا نتكلم عامّة بقصد التَّأثير " ، فهذه النظرية تريد أن تبين أن اللغة تحمل بصفة ذاتية وجوهرية وظيفة حِجاجية .

كما اعتبَرَ العزاوي الحِجاج على أنه "تقديم الحُجَج و الأدلة المؤدِّية إلى نتيجة معيّنة ، وهو يتمثل في إنجاز تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب وبعبارة أخرى: يتمثَّل الحِجاج في إنجاز متواليات من الأقوال بعضها هو بمثابة الحُجج اللغوية وبعضها الآخر هو بمثابة النتائج التي تستنتج منها"[204]

كما قام بدراسة السُّلَّم الحِجاجي الذي من خلاله يحدد لنا قيمة القول الحجاجية ، وقد درس كذلك الروابط و العوامل و الأدوات و الحروف و الظروف و العبارات اللغوية في اللغة العربية مِنْ منظور حِجاجي ومِنْ منظور مَعْرِفي .

فدراساته في مجال الحجاج ومنطق اللغة تعتمد بالدرجة الأولى على دراسة هذه الأدوات و الروابط المنطقية الحِجاجية (إذن ، لاسيما ، بل ، لكنْ ، حتى ، لأنَّ.....) .

ولم تقتصر دراساته على الروابط و العوامل و الأدوات الحِجاجية فقط ، بل درَس مواضيع عديدة مثل : المعنى و الاستعارة و الأمثال العامية من وِجهَةٍ حِجاجيَّة .

ومجمل القول : أن هذا الباحث لا يرى أنَّ نظرية الحِجاج في اللغة لها أي صِلَةٍ بالبلاغة الكلاسيكية (أرسطو) بل يعتبرها نتيجة الدِّراسات اللغوية التي قام بها أوستين و سورل ثم طورَّها ديكرو فيما بعد ، و قد اجتهد العزّاوي في تطوير هذه النظرية الحِجاجية و توسيع

[204] ينظر د . أبو بكر العزاوي : اللغة و الحجاج ، ص 14 - 15 – 16 .

مجال تطبيقها الذي يشمل العوامل و الروابط الحجاجية بل وشمل حتى النصوص والخطابات بمختلف انواعها (خطابات أدبية ، سياسية ، إشهارية ، اقتصادية ، دينية ، فلسفية.....وغيرها) فكل هذه الاقتراحات و التعديلات والإضافات و التطويرات يمكن أن يكون لها دور في إحداث نوع من التجديد و التطوير[205] .

[205] ينظر د . أبو بكر العزاوي اللغة و الحجاج ص98- 100- 104 .

الفصل الثاني

الأدوات اللغوية للحجاج وآلياته البلاغية

تمهيد :

لقد قسمت هذا الفصل إلى مبحثين : الأول تناولت فيه بعض الروابط و العوامل الحجاجية التي تكون داخل اللغة ،ومدى قوتها في الخطاب حتى تُحدث وقعا في نفس المتلقي بغرض الإقناع والتأثير .

و لقد أخذت نماذج من ديوان حسان بن ثابت فلم أقتصر على قصيدة معينة و قمت باستخراج بعض العوامل و الروابط الحجاجية و توضيحا داخل الكلام و ما تحمله من قدرة و قوة حجاجية في تقريب المعنى و بيان المقصود من الخطاب أو الكلام .

أما المبحث الثاني : فقد تناولت فيه بعض آليات الحجاج البلاغية من نفي و نهي و استفهام وتشبيه و كناية و استعارة ، في شعر حسان بأخذ بعض الأمثلة .

وتعتبر بعض هذه الآليات من أقوى آليات الحجاج ، البلاغية في بيان المعنى و الإفصاح عن المقصود و الوصول إلى الإقناع و التأثير و بلوغ الغاية أكثر من استعمال ألفاظها بالمعنى الحقيقي من المجازي.

المبحث الأول : الأدوات اللغوية للحجاج

- **الأدوات الحجاجية:**

إن اللغة العربية شأنها شأن اللغات الطبيعية الأخرى، تحتوي على روابط حجاجية كثيرة نذكر منها ما يلي: بل، لكن، إذن ،لاسيما، حتىّ، لأنّ، بما أنّ، إذ، إذا، الواو، الفاء، اللام، كي ...الخ.

وتوظَّف الأدوات للمُحاجَّة ،وتلعب دورا كبيرا في توضيح المعنى و نفاذه إلى ذهن المتلقي .

و ذكرنا من قبل أنَّ : الأدوات الحِجاجية تنقسم إلى قسمين:

- **روابط حجاجية Les Connecteurs :** ودورها الرَّبط بين قولين أو حجَّتين ،أو بين الحُجَّة والنتيجة . وبمعنى آخر هي أدوات تربط بين حُجَّتين أو أكثر لتقوية وتوضيح أو تفسير الأمر المقصود من الكلام وإزالة الغموض عنه.

- **عوامل حجاجية Les Operateurs** : ودورها ليس الربط بل الأقوال ، بل تقوم بحصر وتقييد الإمكانات الحجاجية لقول ما. وبمعنى آخر هي أدوات حجاجية يوظفها المرسِل لحصر المفهوم العام من الكلام المعبَّر عنه، وتقليل المعاني القصودة منه.

1 - الروابط الحجاجية Les Connecteurs :

1-1- لكنْ:

جاءت "لكنْ" عند النحويين لنفي كلام وإثبات غيره ، يقول الرماني: "تقع لكن بين كلامين لما فيها من نفي وإثبات لغيره ،فهي تتوسط بين كلامين متغايرين نفيا وإيجابا يستدرك بها النفي بالإيجاب ،و الإيجاب بالنفي "[206].

[206] الرماني : (أبو الحسين علي بن عيسى) معاني الحروف – تحقيق :عرفان بن سليم العشا حسونة –المكتبة العصرية بيروت-ط1-2005-ص196.

وهناك نوعان من "لكنْ" :

الأولى: إبطالية، وهي التي يكون ما بعدها مُبطلا لحُكم ما قبلها، حيث هذا التعارض إبطالي وليس حِجاجي.

الثانية: حجاجية، بمعنى أنَّ هناك حُجَّتين ، الأولى قبل "لكنْ" والأخرى بعدها، فالتي قبلها تخدم نتيجة ضمنية ،والحُجَّة الثانية تخدم نتيجة مُضادة للأولى، وتكون أقوى منها ،وبـذلك ستوجِّـــه الكلام للنتيجة النهائية.

يقول الشَّاعر : فَدعْ هذا ولكنْ مَنْ لِطيْفٍ يؤرِّقُني إذا ذَهب العِشاءُ.[207]

يُخبِر الشَّاعر في هذا البيت أنَّ خيال الأطلال باقٍ في ذِهنه ، قد أذهب عنه النَّوم وأرَقَّه، وهذا ما جعله يتذكّره دومًا حتى في وقت النوم .

يتضمن هذا البيت تعارضا حِجاجِيا ، لأنّ هناك حُجَّتين: الأولى قبل "لكنْ" وهي الدَّعوة إلى نسيان أمر الأطلال(دَعْ هذا) ، والأخرى بعدها وهي عدم قـدرة على النوم(يؤرّقني)، فالحجَّـــة الأولى تخدم نتيجة ضِمنية وهي سوف ينسى أمر الأطلال أو المنازل، والحجَّة الثانية تخدم نتيجة مُضادة للأولى وهي أقوى منها ، وتعبِّر عنْ عدم قدرة نسيان الأطلال، فتكون النتيجة النهائية أنَّ طَيْف الأطلال حَجَب عنه النّوم وأسْهرَه، وبذلك فلا ينسى الأطلال .

فالبنية الحِجَاجية هي كالآتي :

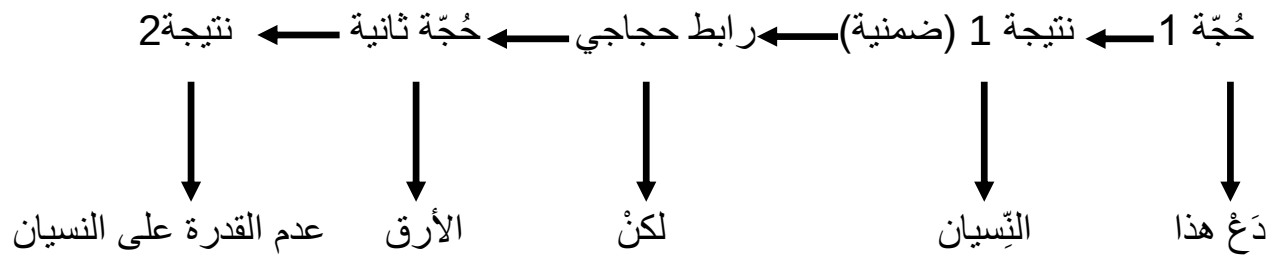

[207] ديوان حسان بن ثابت: ص18 .

2-1- الفاء: الواقعة جوابًا للجملة الظرفية.

تكون قولا حِجاجيا في السياق الذي يدلُّ عليه المقام .وتكون الفاء هي الرابط الحِجاجي و النَّتيجة مُتضمَّنَة ، مثل قول حسان :

إذا ما الأُشْرِباتُ ذُكِرْنَ يومًا فهُنَّ لطيب الرَّاح الفِداءُ[208]

تضمَّن هذا البيت الحُجَّة المتمثلة في ذِكْر الأشْرِبات (تَذكُّر طعمها و شرابها) فإن النتيجة تكون الشعور بالراحة ، و تلك الحالة يبذل لها الشارب أعزَّ ما يملك ولوكان بالفداء، و الرّابط الحجاجي هو "الفاء" المُتضمِّنة للظرف (التَذكُّر)، و البنية الحِجاجِية لهذا البيت هي كالآتي :

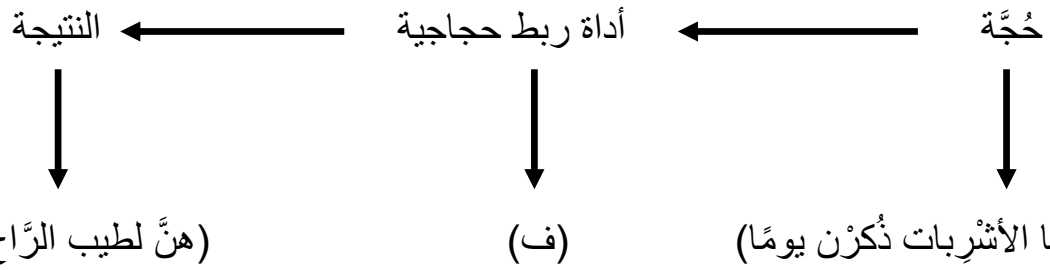

3-1- الفاء:(حرف عطف)

"تستعمل للتَّرتيب مع التَعْقيب وتربِط الجواب"[209]

قال حسَّان:

ونَشْرَبُها فتَتْرُكُنا مُلوكًا[210] .....

هذا الرابط الحِجاجي يوضِّح لنا الأثر الذي تتركه الخمْر على شاربها ، حيث تجعلهم يشعرون

---

[208] ديون حسان بن ثابت: ص 18.

[209] الدروس النحوية :تأليف ثلة من الأساتذة، تح أبو أنس أشرف بن يوسف بن حسين- دار العقيدة ، درا الإمام مالك ، البليدة – الجزائر ، ط خ ، 2007م - 1428هـ، ص473 .

[210] ديوان حسان بن ثابت ،ص19 .

*ونشربها :يعني الخمر.

بالنَّشْوة و السِّيادة حتى يظنون كأنهم ملوك ،و هذا تعبير مجازي و ليس حقيقيا ،فالحُجَّة في هذا الشَّطر من البيت هي : شربهم للخمر (ونشربها)،و النتيجة بعد ذلك الراحة و السلطة المتوهمة من شاربها (تتركنا ملوكا) إذن :

الحُجَّة هي: نشربها.

الرابط الحجاجي :الفاء.

النتيجة: تتركنا ملوكا .

و بالتَّالي البنية الحجاجية كما يلي:

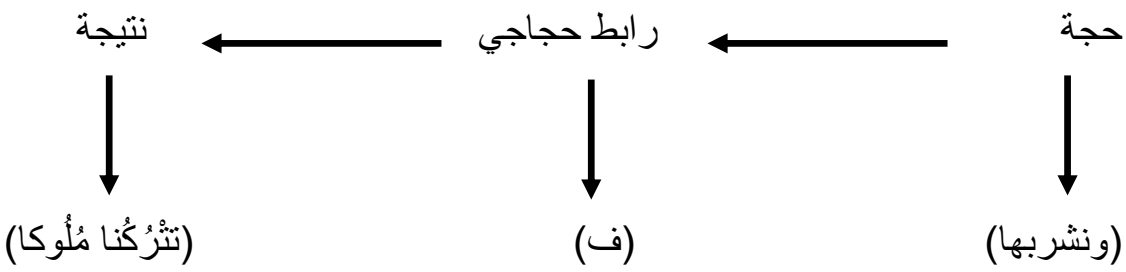

و يقول حسان في موضع آخر من القصيدة:

هَجَوْتَ مُحَمَّدًا فأجَبْتُ عنْه[211] .....

حيث يقول حسان لأبي سفيان : أنك هجوت محمدا فكان ردّي عليه سريعا نيابة عنه .فالحُجَّة هنا هِجاء النبي صلى الله عليه وسلم ، و النتيجة الإجابة عنه و النصر و التعزير. أما الرابط الحِجَاجي فهو "الفاء" الذي ربط بين الحُجَّة و النتيجة و برَّرَ العلاقة القائمة بينهما .

[211] ديوان حسان بن ثابت : ص 20 .

وتتمثل البنية الحِجاجيَّة في الشّكل الآتي:

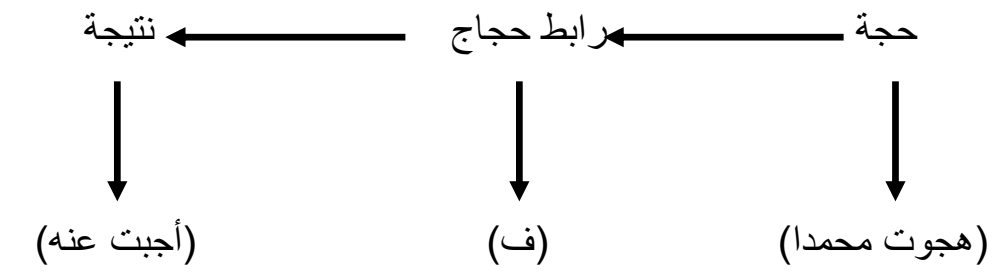

4-1- إنْ :

يكون أحيانا للشَّرط و أحيانا للنَّفي حسب السِّياق و المقام .

يقول حسان :

نُولِّيها المَلامَة إنْ ألمْنا * إذا ما كان مَغثٌ أو لحاء*[212]

يحمل هذا الرابط الحجاجي معنى الشرط ، حيث يبين أنَّ نتيجة إرجاع اللَّوم على الخمْر، إنَّما يكون بسبب ما نأتيه و نقْترِفُه و نُلام عليه .

و هذا الرابط يبين نتيجة الحُجَّة التي يسببها شرب الخمر، حيث إذا وقع منهم التَّشاتُم والتَّلاعُن و التَّلاوُم فإنهم ينسبون ذلك إلى ما فعلتْه الخمر بعقولهم .

وبعبارة أخرى : إذا صدر منَّا ما نلُام عليه فإنّنا نُرجِعُه إلى الخمر و أثرها .

---

[212] ديوان حسان بن ثابت :ص18.
نوليها :الضمير راجع إلى الخمر .

ألمنا: أي أتينا ما نلام عليه .

المغث : الشتم .

تلاحى القوم: تلاعنوا و تشاتموا و تلاوموا و تباغضوا و تنازعوا .

و البنية الحجاجية كما يلي :

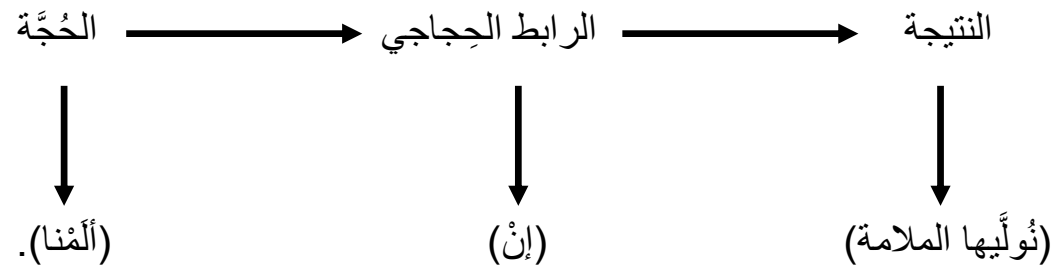

و يقول حسان في موضع آخر:

عَدِ مْنا خيْلَنا إنْ لمْ ترَوْها تُثيرُ النَّقْعَ* موْعِدُها كَدَاء*[213]

في هذا البيت يبين الشاعر أنَّ خيولهم مِن أجود الخيول التي تتَّصف و تمتاز بالقوّة التّحمُّـل و خاصّة في الحروب، حيث يُخبِر أعداءَه بأنَّهم لنْ يقدِروا على مُجابهتِهم في القتال .

فحسان في هذا البيت يدعو على الخيل بالهلاك إن لم تهاجم قريشا و تثير الغبار حتى تصل إلى كداء و تدخل مكة فاتحة ظافرة ، و (عدمنا خيلنا) هذا أسلوب دعائي الغرض منه التأثير .

و البنية الحجاجية كما يلي :

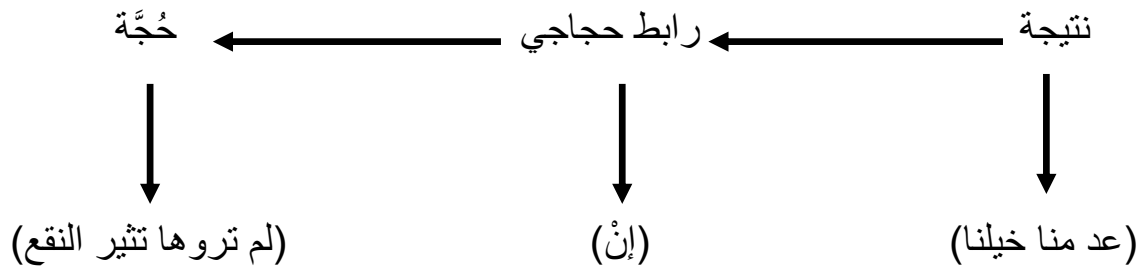

[213] ديوان حسان بن ثابت ،ص19 .

النقع : الغبار . كداء: مكان بأعلى مكة.

1-5- واو العَطْف:

يُستخدم الواو في الكلام لعدَّة استعمالات :"لِمُطلق الجمع و الاستئناف و الحال و للمعيَّة و للقَسَم[214].

و قد وظَّفه حسان في شِعْره كثيرا بغرض الرّبط بين الجمل و المعاني و تقويّتها .

حيث يقول:

فإمَّا تُعْرِضوا عنَّا اعْتَمَرْنا و كانَ الفتْحُ و انْكشَف الغِطَاءُ[215]

يبين الشاعر من خلال هذا البيت أنه إذا تحقق أداء العمرة بعد ترك الحرب ،فإنَّ ذلك سيكون نصرا عظيما للإسلام بفتح مكَّة و إعلاء رايته . في هذا البيت إستعارة تصريحية (انكشف الغطاء) عبر الشاعر من خلالها عن إزالة الخلاف و العداوة بانكشاف الغطاء.

فالرابط الحجاجي هنا يبين علاقة الحُجَّة التي هي الإعراض عن الحرب و أداء مناسك العُمْرة بالنتيجة التي هي فتح مكة و انتصار دين الإسلام .

و البنية الحجاجية كما يلي :

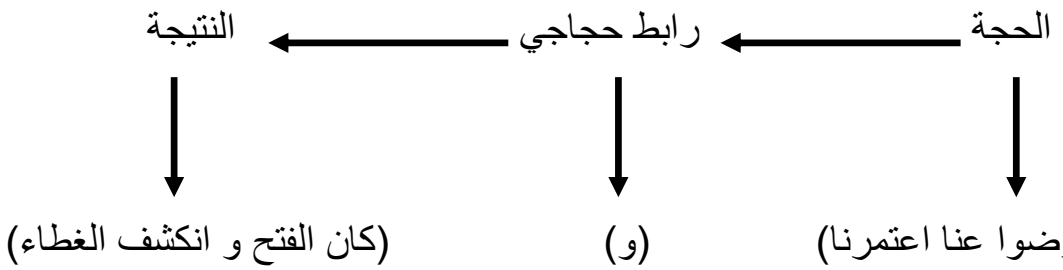

1-6- حينَ :

يُستعمل هذا الظرف رابطا حِجاجِيًّا لتبرير و تفسير المعنى الذي يربط الحُجَّة بالنتيجة .

---

[214] الدروس النحوية : ص473 .

[215] ديوان حسان بن ثابت ص19.

قال حسّان:

فَنُحكِمُ بالقَوافِي مَنْ هجانا و نَضْرِب حينَ تختلِط الدِّماءُ[216]

يُظهر حسان لأعدائه إنْ أردتم القتال فضربُنا موجِع و بطْشنا مُميت .

في هذا البيت كناية عن اشتداد القتال ،فالحُجَّة جاءت بعد الرَّابط الحِجاجي "حينَ" و هي اشتداد القتال (تختلط الدِّماء) أما النتيجة جاءت قبل الرابط الحجاجي "حين "و هي الضَّرْب و المُقاتلة بالسُّيوف و الرِّماح .

و البنية الحجاجية هي كالآتي :

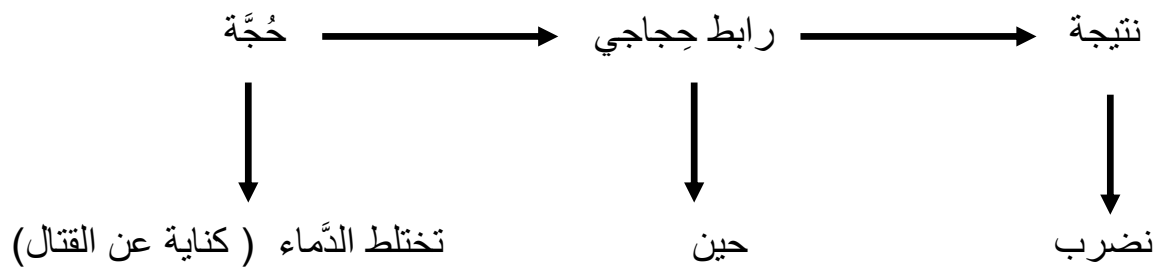

1-7- إنَّ :

حرف مُشبه بالفعل وهي حرف نصب و توكيد ، تكون رابطا حِجاجياً في بعض

الدَّلالات كالسَّبَب و التَّفْريع .

قال حسان :

فإمَّا تثقفنَّ بنو لُؤيّ جُذيمَة إنَّ قتلهُم شِفاءُ[217]

---

[216] المرجع نفسه، ص 20.

[217] ديوان حسان بن ثابت :ص 21 .

أيْ : إذا تمكَّنت بنو لُؤيّ منْ جُذيمة و الظَّفر بها و إطاحتها تكون بمثابة حُجَّة للنتيجة بعد الرَّابط الحِجاجي إنْ .

فتكون النتيجة الأخذ بالثأر من جذيمة بعد قتلها أو مقاتلتها وبالتالي يكون الشفاء و الراحة من الجرح الكليم .

فالحجة : إثْقَاف بنو لُؤيّ جُذيمَةَ و قتلهم .

الرابط الحجاجي : إنَّ .

النتيجة : شفاء .

و نُمثِّل هذا في الشكل الآتي :

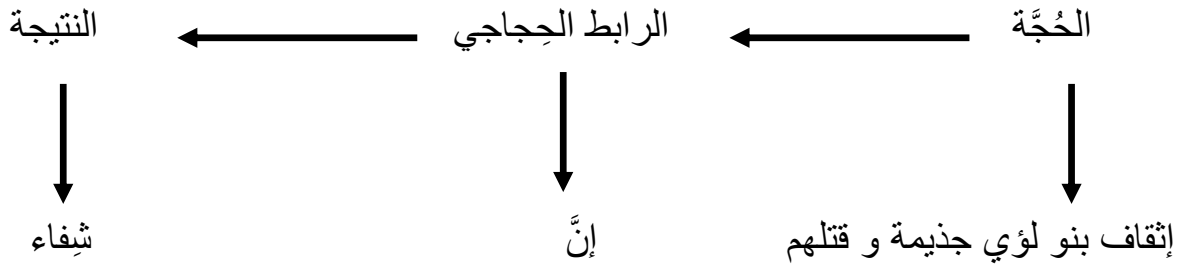

و تقدير الكلام :سبب شفاء بنو لُؤيّ هو الإطاحة بجذيمَة و قتلهم ،فالرابط الحِجاجي "إنَّ" كان له دورا كبيرا في تأكيد المعنى و علاقة الحُجَّة بالنتيجة .

2- العوامل الحجاجية Les Operateurs :

2-1- اسم الفاعل :

قال حسان :

يُبَارينَ الأَعِنَّةَ مُصعِدَاتٍ عَلَى أَكْتَافِهَا الأسَلُ الظِماءُ[218]

في هذا البيت يصف الشاعر فيه خيولهم التي تمتاز بالقوة و السرعة و المجالدة في الحروب بالإضافة إلى ذلك فهو يزيد في وصفها بالإقدام دون إحجام حيث تخوض الحروب و تشق الروابي و الجبال دون نصب . و (الأسل الضماء) استعارة مكنية ، حيث شبه الشاعر الرماح بالإنسان فحذفه و ذكر صفة من صفاته و هي العطش ، وهذه كناية عن سرعة الخيل و استعدادها للقتال .

حيث أراد الشاعر أن يبين في هذا البيت أنه لا انتصار لأعدائه أمام قوة و صلابة و سرعة خيولهم .

و هذا العامل الحجاجي المتمثل في اسم الفاعل " مصعدات " له بعد حجاجي حيث استطاع حسان من خلاله أن يصف و يبين قوة جيش قومه الذي لا يهزم فزاد هذا العامل الحجاجي المعنى وضوحا و تأكيدا .

2-2- ليس :

قال حسان :

و جبريل أمين الله فينا و روحُ القدسِ ليسَ لهُ كَفاء [219]

---

[218] ديوان حسان بن ثابت : ص 19 .

الأعنة : الحبال ، مصعدات : ذاهبات صعدا ، الأسل الضماء : الرماح التي تشتهي خوض المعارك و سفك الدماء

يبارين الأعنة : يجارينها في السرعة .

[219] ديوان حسان بن ثابت ص 20 .

العامل الحجاجي المتمثل في أداة النفي ليس تدل على أن جبريل عليه السلام ليس له ند و لا نظير في الوصف أو الفعل و قد استعمله حسان ليبين أن جبريل عليه السلام واحد في خلقته و صفته متمايز عن البشر ، فوجده يستطيع أن يحفظ و ينصر النبي صلى الله عليه و سلم من أعداءه .

و هذا العامل الحجاجي " ليس " يقدم نتيجة و هي حصر هذه الخلقة و القوة ، على جبريل عليه السلام و المقابل لا يمكنهم التغلب على هذا النبي صلى الله عليه و سلم أو قهره مادام جبريل معه .

و نجد كذلك هذا العامل الحجاجي ، الذي يؤدي نفس المعنى في هذا المثال إذ يقول حسان :

أَتَهْجُوهُ و لَسْتَ لَهُ بكُفْءٍ فَشرُكمَا لِخيرِكمَا الفِداءُ [220]

إذ يبين حسان من خلال هذا العامل الحجاجي " لست " أن أبا سفيان لن يكون ندا أو شبيها للنبي صلى الله عليه و سلم ، بل إن محمدا صلى الله عليه و سلم هو أفضل خلق على الإطلاق سواء في صفته الخلقية أو الخلقية .

و النتيجة لهذا العامل الحجاجي تبين أنه مهما بلغ أبو سفيان الملك و الجاه ، و المال فلن يصل إلى ذرة من ذرات مقام النبي عليه الصلاة و السلام لأنه لا يساويه في شيء .

2-3- لا النافية :

قال حسان :

لسانِي صارمٌ لا عيب فيهِ [221] .....

يقول بأن لسانه كالسيف القاطع ، و هذا تعبير مجازي ، و المقصود به ، هو اختيار الكلمات المناسبة للهجاء و المؤثرة تأثيرا بليغا في نفس المهجوِ ، و يكون ذلك بسبب قبح من تعدى على النبي صلى الله عليه و سلم ، فكلماته أوقع في نفس المهجو كضربات السيف القاطعة .

---

[220] ديوان حسان بن ثابت : ص20.
[221] نفس المرجع ص 21 .

فقد عبر حسان عن لسانه من خلال هذا العامل الحجاجي " لا النافية " بأنه صارم لكن حصره بأنه لا عيب فيه ، فهو سليم لا يقول إلا الحق ، و لا يخطئ هدفه .

إذن فهذا العامل الحجاجي " لا النافية " في الشطر الثاني من هذا البيت

إذ يقول حسان :

..... و بَحري لا تكدرهُ الدلاءُ[222]

يخبر الشاعر في هذا الشطر بأن شعره الذي ينظمه كالبحر النظيف حيث لا تؤثر فيه الدلاء يسقى بها .

و هذا يعني أن شعره راق و خال من الركاكة في الأسلوب و التعبير .

فلذلك لا يسمكن لأحد من الشعراء أن يتهجم على شعره أو ينقده ، لأنه لم يترك لهم المجال في ذلك ، بسبب لفته و فصاحته و بلاغته الراقية ، فشعره لا يعاب و لا يجارى .

2-3- أفعل التفضيل :

تدل أفعل التفضيل على أن شيئين اشتركا في صفة ، وزاد أحدهما عن الآخر ، و قد سمى طه عبد الرحمان العلاقة بينهما بعلاقة التفاضل[223].

و قد استعمل حسان هذا العامل لما له من دوره الحجاجي في الدلالة على المعنى و تقريره

إذ يقول :

و أَحسنُ منكَ لَمْ ترَ قطُّ عيني وَ أَجْمَلُ مِنْكَ لَمْ تَلِدِ النّسَاءُ[224]

يصف حسان النبي صلى الله عليه و سلم أنه أحسن البشر، إذ لم ترى عيناه قط أحسن منه خلقا وخلقا ، فهو يؤكد على جماله عليه الصلاة و السلام من جميع النواحي .

---

[222] ديوان حسان بن ثابت : ص21.
- و بحري : يقصد شعره ، الدلاء : جمع دلو ، التي يسقى بها .

[223] طه عبد الرحمان : اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي ص 282.

[224] ديوان حسان بن ثابت ص 29 .

كما أنه لم تلد نساء بني حواء كلهن ، أجمل من محمد عليه الصلاة و السلام ، فهو أجمل الناس جميعا ، فحسان أكد وصفه للنبي صلى الله عليه و سلم و جزم له باستعمال الصيغة و هي أفعل التفضيل التي تتمثل في هذا البيت ب (أحسن ، أجمل).

فحسان أكد وصفه للنبي صلى الله عليه و سلم بصفات الكمال خلقا و خلقا و جزم به و أقره باستعماله الصيغة " أفعل التفضيل " التي تتمثل في هذا البيت بلفظ (أحسن ، أجمل) حتى لا تبقى في ذهن السامع أي كلام إلا ذاك .

المبحث الثاني : آليات الحجاج البلاغية

1- الأمــر :

هو طلب القيام بالفعل على وجهة الوجوب و الإلزام ، و يكون من الأعلى إلى الأدنى ، و له أغراض بلاغية مختلفة ، كالنصح ، و الإرشاد ، و الإلتماس ، و الحث و يستعمل ألية حجاجية الهدف منه الإقناع و النصح و الإرشاد و المنع و الحث .

قال الشاعر :

فدعْ هذا و لكن منْ لطيفٍ يُؤرّقِنِي إذا ذهبَ العِشَاءُ [225]

كان الشاعر يعني بديار بني الحسحاس و ما فيها من مروج و إبل و غنم ، حيث كانت تزخر بخيراتها الوافرة المتنوعة ، و لكنها زالت و صارت من الماضي .

و الشاعر يأمر بنسيان هذه الأطلال بقوله " دع هذا " و هذا الأمر الفرض منه الانفصال عن الماضي الزائل ، و الاشتغال بالحاضر ، لأن ذكريات الماضي يبقى ألمها في القلب و لا تزيد هذه الذكريات إلا هما و حزنا و ألما .

و الشاعر بهذا الأمر يهدف إلى الأعراض و النسيان و الاستعداد للمستقبل ، حيث لا يرغب في حصر حياته فيما مضى و انقضى ، بل يسعى و يطمح لمجابهة خطوب الحياة ، فكان لهذا الأمر دورا حجاجيا في إقناع النفس و نصحها لا فيما يزيد الطين بلة .

و قال حسان في موضع آخر من القصيدة :

و إلاّ فَاصْبِروا لجلادِ يوم يعزُ اللهُ فِيهِ مَنْ يَشَاءُ [226]

[225] ديوان حسان بن ثابت : ص 18 .
[226] المرجع نفسه : ص 19 .

الشاعر في هذا البيت يحذر أعداءه من قريش ، من منع النبي صلى الله عليه و سلم ، و من معه بأداء العمرة ، حيث إن عارضوهم و واجهوهم فإنه سيكون بينهم قتال و فيه يعز الله جنده .

و استعمل الشاعر أسلوب الأمر بقوله " اصبروا " الذي غرضه التهديد و التخويف أو الترهيب ، و الأمر من أقوى آليات الإقناع الحجاجي كما هو ظاهر في هذا البيت ، و يهدف إلى إقناع قريش بالاستسلام للنبي صلى الله عليه و سلم بقوله :

..... يعزُ اللهُ فِيهِ مَنْ يَشَاءُ [227]

أي : لا نصر لكم أمامنا ، لأن الله معنا .

و قال حسان أيضا .

ألاَ أبلغْ أبَا سفيانَ عنِّي فأنت مجوفٌ نخِبٌ هواءُ [228]

الشاعر يأمر بتبليغ هذه الرسالة إلى أبي سفيان و من معه ، حيث يصفه بالجبان الذي لا يستطيع على المواجهة ، فاستعمل حسان فعل الأمر " أبلغ " الذي غرضه الاحتقار و الإهانة ، لأن الكافر عند الله ذليل و حقير ، فمهما كان له من قوة و عدة فلا يساوي شيئا لأنه لا قلب له يعي به .

و الأمر وسيلة حجاجية تدل على قوة التأثير في ذهن المتلقي و إقناعه بما يؤمر ، فكان هذا الأمر في نفس أبي سفيان كوقع النار على الوقود به أو يبلغ له .

[227] ديوان حسان بن ثابت : ص 19 .
[228] المرجع نفسه : ص 20 .

2- النّهي :

النهي هو طلب الامتناع عن الفعل بطريقة حجاجية لإقناع المتلقي بما يريد التعبير عنه ، و هو يعتمد على حجج قد تكون أسبابا ليخلص إلى نتيجة و هي تأكيد النهي .

و النهي يبنى على حجج تكون في جمل اسمية أو فعلية تتسم بالثبات و غير قابلة للتأويل والاحتمال .

و يعتبر النهي آلية حجاجية التي يخدم النتيجة المقصودة من الكلام ، و قد استعمله حسان في شعره ليصل إلى وقع أبلغ في نفس المتلقي .

قال حسان :

بَنِي دارمٍ لاَ تفخرُوا إنَّ فخرَكُمْ يعودُ وبالاً عندَ ذِكرِ المَكَارِمِ[229]

في هذا الشطر من البيت يحذر الشاعر بني دارم من الافتخار بنسبهم ، لأن ذلك سيعود وبالا عليهم لأنه لا مكرومات لهم بل هم قوم هجين ليس لهم ما يفتخرون به .

و استعمل حسان النهي في هذا البيت قصد التحذير و التخويف ، و هذا ما يوقع في نفس العدوّ الحذر و الرهبة من الاقدام على أمور لا تحمد عواقبها .

فكان للنهي حجة قوية على بني دارم إن أقدموا على ذلك و إلا سوف يحل عليهم الهلاك الذي تبينه النتيجة في قوله " و إلاّ أَبَحْنَاكُمُ و سُقْنا نِساءكُمْ " [230]

[229] ديوان حسان بن ثابت : ص ، 227 .
[230] المرجع نفسه : ص نفسها .

و قال في موضع آخر :

فَلا تجْعَلوا للهِ نِدًّا و أَسْلِمُوا وَلا تلبَسوا زيًّا كَزِيّ الأعَاجِمِ [231]

في هذا البيت يأمر الشاعر بني درام باعتناق الإسلام والدخول فيه ، و ترك الكفر و الإعراض عنه.

و لإبراز هذا المعنى و تأثيره في قلب الأعداء ساقه بسياق النهي الذي يمثل حجة قوية لإثارة نفوسهم و يصل إلى ما كان يحاول الوصول إليه .

فكان الغرض من هذا النهي هو التحذير .

3- الاستفهام :

الاستفهام أصله : طلب الفهم ، أو طلب الإفهام ، أي الإعلام بالشيء ، فهو إذن طلب الإعلام بالشيء [232]، و بعبارة أخرى طلب العلم بشيء لم يكن معلوما من قبل ، و له أدوات كثيرة ، منها : الهمزة ، و هل ، من ، متى ، أين ، أيان .....الخ[233] و يستعمل في الكتابة قصد تشويق المتلقي وإضفاء الجمال الفني على الكلام .

و لقد استعمل حسان الاستفهام في شعره ليعطي المعنى قوة دلالية ، و لكي يبين الحالة النفسية التي يعيشها و كيف استطاع أن يربط الماضي بالحاضر الذي يعيشه عن طريق استعماله السؤال و أدت هذه الأسئلة الاستفهامية دورا حجاجيا كبيرا لإقناع المتلقي .

قال حسان :

أَتهْجُوهُ و لَسْتَ لَهُ بكُفْءِ .....[234]

يعبر الشاعر بأسلوب الاستفهام الإنكاري في هذا البيت ليبين حقارة و دناءة أبي سفيان ، لأنه لا يمكن أن يكون في مقام محمد صلى الله عليه و سلم حتى يهجوه ، فهذا السؤال الاستفهامي عبارة

---

[231] المرجع السابق ، ص نفسها .

[232] محمد بن صالح العثيمين : شرح دروس البلاغة تأليف مجموعةمن الأساتذة ، دار ابن الجوزي ، جمهورية مصر العربية القاهرة ، ط1 ، 1429 هـ - 2008 م ، ص 43 .

[233] علي الجارم و مصطفى أمين : البلاغة الواضحة ، المكتبة التوفيقية ، ط2 ، ص 353 .

[234] ديوان حسان بن ثابت : ص 20 .

عن آلية حجاجية قوية استطاع الشاعر حسان أن يعبر من خلاله عن ذلة أبي سفيان ، حيث زاد المعنى قوة و تأثيرا في النفس .

فالاستفهام بالسؤال له وقع قوي في نفس المتلقي يقوي الحجة بالنتيجة .

و جاء في موضع آخر :

ألم تَجدُوا حديثي كان حَقًّا[235] .....

فحسان استعمل السؤال الاستفهامي ليبين ما أصاب المشركين يوم بدر من قتل و صرع كَانَ حقًّا و كان قد حذرهم و نصحهم ، لكن كفرهم و جهلهم أعمى بصيرتهم ، و عند الجيشين و قع ما حذرهم منه ، و هذا الاستفهام الغرض منه التقرير و الاعتراف بما حل بهم .

فكان لهذا السؤال الاستفهامي دورا زاد المعنى قوة في البيان حيث أثر في نفوس السامعين وجعلهم مقتنعين معترفين .

ماذا بكيتَ على الذينَ تتابعوا هلاّ ذَكَرْتَ مَكارمَ الأَقْوَامِ[236]

في هذا الشطر من البيت أثار الشاعر إلى الحالة النفسية التي آل إليها ابن الزعبري حين بكى أهل بدر ، فأصابه الألم و الحسرة لما وقع لقومه .

و أراد الشاعر من خلال هذا الاستفهام المتمثل في قوله " ماذا بكيتَ على الذينَ تَتَابعوا " أن يبين أن البكاء و الحسرة لا تنفع عند وقوع الحدث في شيء .

و الغرض من هذا السؤال الاستفهامي هو النصح و الإرشاد ، أي لا تبك على أمر لا فائدة منه ، فكانت له قوة حجاجية ووقعا كبيرا في النفس .

و جاء في موضع آخر :

يا لَقَوْمٍ هلْ يقتُلُ المرْءَ مِثلي وَاهنُ البَطشِ و العِظام سَؤومُ[237]

---

[235] المرجع نفسه ص : 25 .
[236] المرجع نفسه ص : 227 .

أشار حسان في هذا البيت إلى ماحل بأصحابه يوم أحد إذ قتل منهم كثير بعد أن خالفوا أمر النبي صلى الله عليه و سلم ، و منهم حمله اللّواء .

فمن خلال هذا السؤال : هل يقتل المرء مثلي يبين التحسر في نفس حسان على قتل أصحابه من طرف المشركين الجبناء الذين لا يقدرون على المواجهة ، يبين ذلك قوله " وَاهنُ البَطشِ والعِظامِ سَؤومُ " ، أي هشة مريضة .

فكان لهذا الاستفهام دورا حجاجيا قويا في تأكيد و تقوية النتيجة و إبراز الغرض من وراء ذلك.

4- التشبيه :

يعتبر التشبيه من الآليات الحجاجية لما يؤديه من تقريب للمعنى في ذهن السّامع حيث يعتمد التشبيه على الوصف القريب في خيال المتلقي ، و هو من الآليات الحجاجية التي تهدف إلى الإقناع بفكرة لتستقرّ عند المتلقي ، و يكون اختيار عبارات التشبيه حسب السياق و الغاية .

و قد وظفه حسان كثيرا في شعره و جعله بمثابة حجّج حتى يزيد الصورة وضوحا و تقريبا للمعنى ، و بالتالي الوصول إلى النتيجة المنشودة .

و بما أن أكثر شعر حسان ف-ي المدح و الثناء و الرثاء و الهجاء كانت هذه الآلية الحجاجية أبلغ من غير ها في ذهن المتلقي .

قال حسان :

و تُتركُ مِثْلَ الكَلْبِ يلمحُ أَيدهُ* و تنزعُ محصورًا و تُقْعَدَا آثما [238]

---

[237] المرجع السابق : ص : 222 .
[238] ديوان حسان بن ثابت : ص 243 .
* يلمح : يلحس – أيده : غيره .

فحسان يهجو أبا سفيان في هذا البيت ليبين عيوبه و مثالبه /، و استعمل لذلك ، التشبيه حيث شبهه بالكلب الذي يلحس غيره ، و هو طامع في مدحه و ثنائه و لكنه يبقى كما هو فتصيبه الحسرة والألم لما يتصف به من أوصاف قبيحة .

و هذا التشبيه توفر على جميع أركانه ، ووجه الشبه بينهما ، الخسة و الدناءة المبنية في قوله (و تنزع محسورا و تقعد آثما) ، فكانت كلها بمثابة نتيجة تدعم القضية .

و يقول عنه في موضع آخر :

فإنك إذ تُمِتُّ*إلى قُريشٍ كذاتِ البوِّ* جائِلةِ المرامِ[239]

شبه حسان أبا سفيان بجلد الناقة المحشو تبنا بسبب انتسابه إلى قريش و هذا من التشبيه الصوري

و الشاعر استطاع من من كل لهذا البيت أن يوصل لنا من خلال هذا التشبيه الحالة الحقيقية والصفة التي عليها أبو سفيان فكانت نتيجة ذلك أنه مبتور النسب و القوم .

و قال في قصيدة " عدمنا خيلنا "

لِساني صارمٌ لا عيبَ فيهِ .....[240]

في هذا الشطر شبه الشاعر لسانه بالصارم الذي هو السيف حيث ، أراد أن يقول :

إن شعره كالسيف القاطع في مواجهة أعدائه .

و استعمل الشاعر هذا التشبيه ليقرب المعنى في ذهن المتلقي أو السامع ليزيد المعنى تأكيدا لأن كلمة السيف أشد وقعا في النفس من كلمة اللسان ، لذلك شبه المعنوي بالمحسوس و ما كان محسوسا كان له أثرا أبلغ .

---

[239] حسان بن ثابت : ص 242 .
* تمتّ : تنتسب ، البوّ : جلد ولد الناقة المحشو تبنا .

[240] المرجع نفسه ، ص 21 .

و بهذا نلاحظ أن هذا التشبيه كان بمثابة حجة تخدم النتيجة أو القضية التي مفادها أن شعره فصيح و بليغ .

و قال الشاعر :

عرفتُ دِيارَ زينَب بالكثيبِ كخطّ الوَحيِ في الرقّ القَشيبِ [241]

شبه الشاعر آثار و بقايا ديار زينب بالسطور في الورق الجديد ، و هذا التشبيه يبين الجمال التي كانت تزخر به ، فهذه الألية الحجاجية تهدف إلى خدمة نتيجة و هي بيان جمال ورونق ديار زينت قبل أن تعتريها الرياح و تغمرها الأمطار .

5- الاستعارة Métaphore:

إن قوة الحجاج في المفردات من الناحية الاستعارية تكون أقوى مما نحسه لنفس المفردة بالمعنى الحقيقي .

و تعد الاستعارة من أهم آليات الحجاج البلاغية ، و ذلك لما تحققه من فوائد في تقريب المعنى إلى ذهن المتلقي .

يقول طه عبد الرحمان : " العلاقة الاستعارية هي أدل ضروب المجاز على ماهية الحجاج "[242]

و الاستعارة تنقل المعنى من لفظ لمشاركة بينهما في تلك الاستعارة و تلعب دورا هاما في توضيح الفكرة و تقريبها إلى المتلقي ، لأن الصفة المشتركة بين لفظين هي التي تبين ما أراد المتكلم أن يوصله إلى المتلقي .

و قال صلاح فضل في كتابه " بلاغة الخطاب و علم النص " ، " الاستعارة تعطي دفعة قوية للخيال كي يفكر أكثر "[243]

---

[241] المرجع نفسه ، ص 24 .

[242] طه عبد الرحمان : اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي ، ص 233 .

[243] صلاح فضل : بلاغة الخطاب و علم النص ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ط1 2004م ص 145.

و تكمن فعالية الاستعارة في التناسب مع ما يقتضيه السياق إذ تمثل الاستعارة أبلغ و أقوى آليات الحجاج البلاغية .

قال حسان في قصيدة " عدمنا "

..... و بحرِي لا تكدِّرُهُ الّدلاءُ[244]

إذ تأملنا هذا الشطر من البيت لوجدنا الشاعر استعار كلمة البحر لتدل على الشعر ، فذكر المستعار و هو البحر ، و حذف المستعار له ، و هو الشعر ، و قد استعار هذه الكلمة ليبين أن شعره كالبحر الصافي الذي لا تعكره الشوائب ، فالصفة المشتركة بين البحر و الشعر إذن هي الصفاء و النقاء ، و بهذا نجد اللفظ المستعار يوضح المعنى و يوصل الفكرة بمعنى دقيق إلى ذهن المتلقي أو السامع ، و لهذه الاستعارة قوة حجاجية استطاع الشاعر أن يخدم النتيجة التي يهدف الشاعر إليها .

قال حسان في قصيدة بوركت يا قبر الرسول :

بَطَيبَةٌ رَسم لِلرَسولِ وَ مَعهَدُ* مُنيرٌ وَ قَد تَعفو* الرُسوم وَ تَهمَدُ[245]

صور الشاعر قبر الرسول صلى الله عليه و سلم في المدينة المنورة ، فاختار لهذه الصورة أبلغ التشبيهات ، فاستعار له كله رسم و مهد منير ، و هو تعبير عن النجوم المتلألئة التي يهتدى بها،فَنُورها لا يزول أبدا .

و قد استطاع الشاعر من خلال هذه الاستعارة الحجاجية أن يوصل لنا النتيجة و الغاية منها .

و قال في بيت آخر :

فَبورِكتَ يا قبرَ الرَسول وَ بوركَت بلاد ثوي فيها الرَشيدُ المُسَدَّدُ[246]

---

[244] ديوان حسان بن ثابت ، ص 21 .

[245] ديوان حسان بن ثابت : ص 60 .

* معهد : منزل . تعفو : تمحو . تهمد : تندثر .

[246] المرجع نفسه : ص ، 61.

هذا البيت استعارة معينة حيث صور الشاعر القبر بالإنسان ينادي عليه ، دلت عليه أداة النداء و الغاية من ذلك تشخيص المعنى و تقريبه إلى ذهن السامع ، مع التعبير عن الحسرة و الأسى على فراق الرسول صلى الله عليه و سلم .

و هذه الآلية الحجاجية تخدم النتيجة التي مفادها عظمة النبي صلى الله عليه و سلم و علو مقامه بين أصحابه .

و قال بعد ذلك :

فَجودِي عَلَيه بالدُموعِ وَ أَعولِي* لِفَقدِ الَذي لا مِثلهُ يوجَدُ [247]

هنا شبه الشاعر العينين بإنسان يؤمر ، فاستعار لها كلمة " جودي " و أعولي قوة حجاجية في المعنى التي تخدم النتيجة المراد الوصول إليها .

أي كأنه أراد أن يقول : إذرفي دموعك يا عيناي و أكثري البكاء عليه فكل هذا لا يشفي حزن فراق الرسول صلى الله عليه و سلم لأن ليس له مثيل .

6- الكناية : La métaphore :

تعتبر الكناية من الآليات الحجاجية و قد تكون حجة تدعم النتيجة أو هي نفسها النتيجة و يلجأ المتكلم إلى الكناية عندما لا يريد أن يصرح عم مقصوده مباشرة .

و هذا ما عبر عنه بدر الدين الزركشي في كتابه " البرهان في علوم القرآن " بقوله :

فيجيء إلى معنى هو تاليه و رادفه في الوجود ، فيومئ به إليه و يجعله دليلا عليه ، فيدل على المراد من طريق أولى "[248]

---

[247] المرجع نفسه : ص 63 .

* أعولي : شدة البكاء ، جاءت العين بالدموع : كثر دمعها .

[248] بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي : البرهان في علوم القرآن تح : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار التراث ، القاهرة ط3 1984 ، ص 301 .

و قد استعمل حسان الكناية في شعره لما لها من قوة حجاجية وإيصال لمقصوده عن طريق التلميح دون التصريح .

قال حسان :

عَدِمْنَا خَيْلَنَا إِنْ لَم تَرَوْهَا تُثِيرُ النّقْعَ موعِدُها كَدَاءُ [249]

يدعو الشاعر بالهلاك على خيلهم إن لم تهاجم قريشا و تثير الغبار حتى تصل إلى مكة فاتحة ضافرة ، فاستعمل الكناية للتعبير عن هذا المعنى .

فقوله " عدمنا خيلنا " كناية عن الدعاء بالهلاك، قوله " تثير النقع " كناية عن السرعة و القوة .

فاستطاع الشاعر أن يصل إلى النتيجة المقصودة بحجة بلاغية أكثر بيانا و تصويرا فقال :

يُبَارِينَ الأعنّة مُصْعَدَاتٍ عَلَى أَكْتَافِهَا الأسَلُ الظِّماءُ[250]

يقصد الشاعر أن خيولهم تجاري الرماح وتسابقها في السرعة ، لأنها وضعت بمحاذاة أعناقها فتظن أنها أنها تجري معها ، فتصعد متحضرة لقتال العدو و خوض المعارك .

فاستعمال الشاعر للكناية في قوله " يبارين الأعنة " هذا يعبر عن سرعة الخيل فهي بمثابة حجة الغرض منها توضيح مقصود الشاعر و تقوية النتيجة .

و عليه فإن كل هذه الآليات البلاغية لها بعدا حجاجيا يختلف حسب السياق و درجة الكلام بهدف تحقيق نتيجة ما .

---

[249] ديوان حسان بن ثابت ص 19 .
[250] المرجع نفسه ، ص نفسها .
*الأعنة : الحبال .

الخاتمة

الخاتمة :

و هكذا يمكن القول أن الحجاج يهدف إلى تحقيق ثلاثة أهداف رئيسية هي : التأثير و الإقناع والحوار ، إذ لا يمكن أن يكون هناك حجاج إلا إذا كانت هناك مجموعة من العناصر مثل : النوايا و المقاصد ، و طرفي التواصل الأساسية : المتكلم و السامع . كما يظهر التشابه و التقارب الكبير بين البلاغة العربية القديمة و البلاغة الغربية الجديدة (بيرلمان و تيتيكا) من ناحية أن البلاغة عند البلاغيين القدامى تقوم على الإفهام و التأثير ، مثلما هي عند بيرلمان التي غرضها التأثير في النفوس و استمالتها عن طريق الحجاج .

كما تجلت نظرية الجدل التي تظهر بوضوح في الثقافة اليونانية عند سقراط و أفلاطون والسوفسطائيون ، و نلاحظ أيضا في الفكر الإسلامي مع علماء الكلام ، و أصول الفقه ، أمثال ابن حزم ، و المعتزلة ، و الأشاعرة ، و قد توسع فيها ممثلوا الجدلية التداولية المعاصرة .

و هناك أيضا نظرية الحجاج الكلاسيكي عند أرسطو الذي ربط البلاغة بالحجاج الإقناعي من خلال تركيزه على اللوقوس و الايتوس و الباتوس ، و يمثلها في منتصف القرن العشرين بيرلمان و تيتيكا ، وسورل ، أوشين ، في نظرية الحجاج التداولي المتعلقة بأفعال الكلام .

كما تميزت البلاغة القديمة بالمعيارية التعليمية تقوم على مقدار قدرة الخطيب أو الكاتـــــب أو المبدع بتوظيف مجموعة من الأدوات و التقنيات في الفصاحة و البلاغة و البيان .

أما البلاغة الجديدة أو الحجاج لها طابع علمي وصفي تبحث في الملفوظ أو الكلام تركيبيا ودلاليا ووصفيا ، فهي تدرس الظاهرة من جميع النواحي و إدراج كل السياقات الداخلية والخارجية للخطاب في بيان المعنى .

و من خلال دراستنا للحجاج في ديوان "حسان بن ثابت" وجدنا أن شعره قد احتوى على الحجاج بمختلف أساليبه و أدواته اللغوية و آلياته البلاغية حتى يصل إلى الغاية المنشودة في الإقناع و التأثير و البيان .

و قد واجهتنا بعض الصعوبات و المعيقات أثناء بحثنا :

أوّلها : أنّ موضوع الحِجاج واسع و متشعِّب و دقيق يصعب ضبطه و إحصائه .

وثانيها : كون الحِجاج العملي ليس مدروس بكثرة تقِلّ فيه المراجع ، خاصّةً في الشِّعر .

و ثالثها : صعوبة ترجمة بعض المصطلحات خاصّة المصطلحات البلاغية حيث نجد تعدد الترجمات للمصطلح الواحد .

و آخر ما نختم به بحثنا هو أن البلاغة المعاصرة أو الحجاج قد أصبح علما قائما بذاته له عدة تخصصات علمية ، و له امتدادات واسعة و متشعبة في عدة ميادين و مجالات مختلفة .

و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر و المراجع :

1- ابن الأثير : أسد الغابة في معرفة الصحابة ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .

2- ابن حجر العسقلاني : الإصابة في تمييز الصحابة ، و معه الاستيعاب في أسماء الأصحاب للقرطبي المالكي ، دار الكتاب ، بيروت ، الجزء الأول .

3- ابن حزم : الإحكام في اصول الأحكام ، منشورات دار الآفاق ، بيوت ، 1983 .

4- ابن منظور (جمال الدين ابو الفضل) لسان العرب ، تحقيق عبد الله علي الكبير/ محمد أحمد حسب الله ، هاشم محمد الشاذلي ، دار المعارف ، القاهرة .

5- أبو الحسين : إسحاق ابن وهبي : البرهان في وجوده البيان ، تقديم و تحقيق : جفني محمد شرق مطبعة الرسالة ، عابدين ، مصر ، د ط : دت ، ص 176

6- أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، مقاييس اللغة ، دار الجيل ، بيروت ، الطبعة الأولى 1411هـ-1991 م .

7- أبو الوليد الباجي : المنهاج في ترتيب الحجاج : تحقيق : عبد المجيد التركي ، دار الغرب الإسلامي ، الطبعة الثانية ، 1987.

8- أبو بكر العزاوي : اللّغة والحجاج ، العمدة في الطبع ، الدار البيضاء ، المغرب الطبعة الأولى ، 2003م .

9- أبو بكر العزاوي : حوار حول الحجاج، الأحمدية ، الدار البيضاء ، الطبعة الأولى 2010م .

10- أبو هلال العسكري : كتاب الصناعتين ، تحقيق ، علي محمد البجاوي و محمد أبو الفضل منشورات المكتبة العصرية ، بيروت، 1406هـ ، 1986م .

11- أرسطو طاليس: فن الخطابة ، ترجمة عن اليونانية و علق عليه و قدم له الدكتور عبد الرحمان بدوي ، طباعة و نشر دار الشؤون الثقافية العامة ، آفاق عربية ، بغداد الطبعة الأولى، 1986 .

12- آمنة بلعلى : الاقناع ، المنهج الأمثل للتواصل و الحوار ، نماذج من القرآن و الحديث مجلة التراث العربي ، السنة 23 ، العدد 89 ، مارس 2003 .

13- أمينة الدهري : الحجاج و بناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة، شركة النشر و التوزيع المدارس ، الدار البيضاء ، الطبعة الأولى ،1432هـ، 2011م .

14- البلاغة الواضحة : على الجارم و مصطفى أمين ، المكتبة التوفيقية ، (القاهرة ، مصر) ط2 ، 2015م .
15- الجاحظ : البيان و التبين ، تحقيق و شرح : عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل بيروت.
16- جلال الدين السيوطي : الإتقان في علوم القرآن ، دار بين كثير ، دمشق ، الجزء الثاني .
17- جميل حمداوي : من الحجاج إلى لبلاغة الجديدة ، أفريقيا الشرق ، المغرب 2014 .
18- حازم القرطاجي : منهاج البلغاء ، وسراج الأدباء ، تونس ، 1966م .
19- حافظ إسماعيلي الحجاج مفهومه و مجالاته ، دراسات نظرية و تطبيقية في البلاغة الجديدة إشراف ، عالم الكتب الحديث ، إربد – الأردن ، الجزء الاول ، 2010م .
20- حبيب أعراب : الحجاج .و الاستدلال الحجازي " عناصر استقصاء نظري " (مقال) مجلة عالم الفكر ، الكويت ، مج 30 ، ع1، 30 ديسمبر 2001م .
21- حافظ إسماعيلي الحجاج مفهومه و مجالاته ، دراسات نظرية و تطبيقية في البلاغة الجديدة إشراف ، عالم الكتب الحديث ، إربد – الأردن ، الجزء الثاني ، 2010م .
22- حمو النقاري : التحجاج طبيعته و مجالاته ووثائقه ، منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية ، الرباط : ندوات و مناظرات رقم 134 ، الطبعة الأولى ، 2006 ، عن علي الإدريسي: في تأسيس الحجاج لدى مفكري الإسلام .
23- خليفة بوجادي : في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم بيت الحكمة ، العلمة ، الجزائر ، الطبعة الثانية 2012م.
24- الدروس النحوية : شلة من الأساتذة ، تح : أبو أنس أشرف بن يوسف بن حسن ، دار العقيدة ، دار الإمام مالك ، البليدة – الجزائر ، ط خ ، 2007م – 1428 هـ .
25- الرماني : (أبو الحسين علي بن عيسى) معاني الحروف – تحقيق : عرفات بن سليم العشا حسونة – المكتبة العصرية – بيروت ، ط1 ، 2005 .
26- الزاوي بغورة : الفلسفة و اللغة ، نقد المنعطف اللغوي في الفلسفة المعاصرة ، دار الطليقة بيروت ، الطبعة الأولى، 2005.
27- الزركشي : البرهان في علوم القرآن ، دار التراث ، القاهرة ، د ط ، دث .

28- الزركشي بدر الدين محمد بن عبد الله : البرهان في علوم القرآن تح : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار التراث ، القاهرة ط3 ، 1984 .
29- الزمخشري أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد دار الله ، أساس البلاغة ، دار عباد بيروت 1412هـ- 1992 م.
30- سامية الدريدي : الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة بنيته و أساليبه ، عالم الكتب و الحديث للنشر و التوزيع ، الأردن ، الطبعة الأولى ، 2008.
31- شرح دروس البلاغة : تأليف ثلة من الأساتذة ، دار بن الجوزي – القاهرة – ط1 1429هـ - 2008م .
32- شكري المخبوت : نظرية الحجاج في اللغة ، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج من أرسطو إلى اليوم .
33- الشهري (عبد الهادي بن ظافر) : استراتيجيات الخطاب ، مقاربة لغوية تداولية ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 2004.
34- صلاح فضل : بلاغة الخطاب و علم النص ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ط1 ، 2004م .
35- طه عبد الرحمان : في اصول الحوار وتجديد علم الكلام ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، الطبعة الثانية ، 2000م .
36- طه عبد الرحمن : اللسان و الميزان ، او التكوثر العقلي ، المركز الثقافي العربي .الدار البيضاء بيروت ، الطبعة الأولى ،1998م
37- عبد الرحمان ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج1 الناشر دار إحياء التراث العربي بيروت ، لبنان ، الطبعة الرابعة .
38- عبد اللطيف عادل : بلاغة الإقناع في المناظرة ، منشورات ضفاف ، دار الأمان الرباط الطبعة الأولى ، 1434 هـ ، 2013م .
39- عبد الله صولة : الحجاج أطره و منطلقاته ، تقنياته من خلال - مصنف في الحجاج – ضمن كتاب: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية . المرجع الأول ، المرجع الثاني .

40- عبد المجيد تركي: مناظرات في اصول الشريعة الإسلامية بين لبن حزم و الباجي تحقيق و تعليق: د عبد الصبور شاهين ،مراجعة محمد عبد الحليم محمود ، دار الغرب الاسلامي بيروت لبنان ، الطبعة الأولى 1986 .

41- فريق البحث في البلاغة و الحجاج : أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ، إشراف حمادي صمود ، منشورات كلية للآداب منوبة ،1998، عن هشام الريفي : الحجاج عند أرسطو .

42- كريستيان بلانتان : الحجاج ، ترجمة عبد القادر المهيري ، دار سيناترا ، المركز الوطني للترجمة ، تونس 2008 .

43- المجاني الحديثة عن المجاني الأدب شيخو : جددها لجنة من الأساتذة بإدارة ، فؤاد أفرام المطبعة الكاثوليكية بيروت ، الجزء الثاني ، الطبعة الثانية .

44- محمد الطاهر بن عاشور ّ: التحرير والتنوير،الدر التونسية ، الدار الجماهرية للنشر والتوزيع و الإعلان ، تونس ، الجزء الثالث .

45- محمد العمري : في بلاغة الخطاب الإقناعي ، مدخل نظري و تطبيقي لدراسة الخطابة العربية دار الثقافة الدار البيضاء ، الطبعة الاولى ،1986م .

46- محمد الوالي : الاستعارة الحجاجية بين أرسطو و بيرلمان ، مجلة فكر و نقد ، عدد 61 المغرب ، 2004م .

47- محمد سالم ولد محمد الأمين : مفهوم الحجاج عند بيرلمان و تطوره في البلاغة المعاصرة عالم الفكر الحديث ، المجلد الثامن و العشرون ، العدد الثالث ، يناير / مارس 2000م.

48- محمد طرطوش : النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية و المنطقية و اللسانية دار الثقافية المغرب ، الطبعة الأولى،2005 .

49- محمد طروس : النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية و المنطقية و اللسانية دار الثقافة للنشر و التوزيع ، الدار البيضاء ، الطبعة الأولى ، 2000 .

المراجع بالغة العربية :

50- مسعود صحراوي : التداولية عند العلماء العرب – دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي ، دار التنوير للنشر و التوزيع ، حسين داي الجزائر الطبعة الأولى ، 1429 هـ - 2008 م .

51- نواري سعودي أبو زيد : ممارسات في النقد و اللسانيات ، بيت الحكمة للنشر والتوزيع الطبعة الأولى ، 2012م .

المراجع باللغة الفرنسية

1- Aristos .rétorique.ed. livre de pohe. 1991. P.80 Chaïm Perelman et l'olbrechts. Tyteca : traité de'argumentation in l'argumentation presses université, de Lyon. 1981, p 92.
2- ChaïmPerlman et LucieOlbrechts. Tyteca : traité de l'argumentation ; la nouvelle rhétorique , presses universitaires de France . Paris 1958, p 36.

3- Giséline Mathieu- costauami . ca rbétorique .des passions .édpuf .paris 2000 p.61
4- jeam ,claude ,anxombre et osuval ducrot , l'argumentation dans le langue , pierre mordage ,éditeure , Bruxelles, 1983,p8 .
5- Perehmen / tyteca traité de l'argumentation, 5émé Edition, Editions l'université de bruxelles'1992- p 5.

6- PerelmanChaïm : rhétorique , éd . université de Bruxelles, 1989 , p99

مسرد المصطلحات:

باللغة الأجنبية	باللغة العربية
Rhétorique	البلاغة/الخطابة
Ethos	إيتوس
Pathos	باتوس
Nouvelle rhétorique	البلاغة الجديدة
Expression	العبارة
Logique	المنطق
Démonstration	البرهان
Raisonnement	الاستدلال
Hiérarchique	الهرميات
Procedes de liaisons	طرائق الوصل
Procedes de dissocition	طرائق الفصل
topoÏ	المبادئ الحجاجية
Pragmatique intégrée	التداولية المدمجة
Relations argumentatifs	العلاقة الحجاجية
Les Connecteurs	الروابط الحجاجية
Les Operateurs	العوامل الحجاجية
Lois argumentatifs	القوانين الحجاجية
Force argumentative	القوة الحجاجية
Echelles argumentatifs	السلالم الحجاجية
Argumentation	الحجاج
Discours argumentatif	الخطاب الحجاجي
Pruseposition	الافتراضات
Opposition	التعارض
Syllogisme	القياس المنطقي
Persuasion	الإقناع
Gradualité	التدرجية
Actes de langage	الأفعال اللغوية
Dialogue	الحوار
Métaphore	الاستعارة
Lois d`abaissement	قانون الخفض
Les valeurs	القيم
Les lieus de quantité	مواضع الكم
Les lieus de qualité	مواضع الكيف
Les lieus d’ordre	مواضع الترتيب

فهرس الموضوعات

آية

إهداء

شكر

مقدمة

تمهيد.....1

الفصل الأول : الحجاج عند العرب و الغرب قديما و حديثا

تمهيد 8

المبحث الأول : الحجاج عند العرب و الغرب قديما 9

مفهوم الحجاج عند العرب القدامى.....9

الحجاج عند الغرب القدماء.....21

الحجاج عند السفسطائيين.....23

الحجاج عند أرسطو.....26

الحجاج عند أفلاطون 29

المبحث الثاني : الحجاج عند الغرب و العرب حديثا 31

الحجاج عن الغرب حديثا 31

مفهوم الحجاج عند بيرلمان و تيتيكا..... 31

ملامح الحجاج عند بيرلمان 40

منطلقات الحجاج عند بيرلمان و تيتيكا 40

اللغة و الحجاج 46

تقنيات الحجاج عند بيرلمان و تيتيكا 48

الحجاج عند تولمين.....49

الحجاج عند ديكرو و أنسكوسير 51

أصناف الحجاج :.....61
أصناف الحجج 64
تقنيات الحجاج 65
الروابط و العوامل الحجاجية 71
المبادئ الحجاجية 74
الآليات البلاغية 75
آليات شبه منطقية 77
السلم الحجاجي 78
قوانين السلم الحجاجي 79
الحجاج عند العرب المحدثين 82
الحجاج عند طه عبد الرحمان 83
الحجاج عند محمد العمري 88
الحجاج عند أبو بكر العزاوي 91

الفصل الثاني الأدوات اللغوية للحجاج و آلياته البلاغية

تمهيد 96
المبحث الأول: الأدوات اللغوية للحجاج 97
الأدوات الحجاجية 97
الروابط حجاجية 97
العوامل الحجاجية 106
المبحث الثاني : آليات الحجاج البلاغية 110
الأمر 110
النهي 112
الاستفهام 113

التشبيه 115
الاستعارة 117
الكناية 119
الخاتمة 121
قائمة المصادر والمراجع 124
مسرد المصطلحات 130
فهرس الموضوعات .